الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

بنية المكان ودلالاته في رواية "نيران وادي عيزر" لمحمد ساري

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
عشاش شماي
عيشيو نسيمة

إشراف الأستاذ:
سعيد إباون

لجنة المناقشة

د. الحبيب عمي..... جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية.....رئيسًا،

أ. سعيد إباون،.....جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، .....مشرفًا ومقررًا،

د. حسين خالفي.....،جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية.....ممتحنًا.

السنة الجامعية: 2022- 2023

إزرَعْ جَميلاً ولو في غَيرِ مَوضِعِهِ -- فَلا يَضيعُ جَميلٌ أينَما زُرِعا

إنَّ الجَميلَ ولَو طالَ الزَّمانُ بِهِ -- فَلَن يَحصُدُه إلّا الذي زَرَعا

ا لإ هـــــــــــد ا ء

إلى:

- إلى الروح الطاهرة .....**والدي**، مع خالص حبي واشتياقي،
- إلى نبع الحنان و مدرستي الأولى ..... **والدتي** الغالية،
- إلى أمي الثانية وسندي في الحياة.... **أختي** حفيظة،
- إلى مصادر أمني وأماني بعد أبي..... **إخواني** أكلي، اسعاد، حسين،
- إلى كل أفراد عائلتي من **جدتي**، إلى آخر**عنقود**،
- إلى عماتي رائحة أبي .... طاوس، جوهر،
- إلى **صديقتي وأختي** العزيزة سيليا، إلى صبرينة وأسماء،
- من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم..... أحبائي، أصدقائي، وزملائي،
- إلى **زميلتي ورفيقتي** في المشوار .... نسيمة،
- ينابيع العلم والمعرفة..... أساتذتي في مختلف الأطوار،
- كل من ساعدني ومدى لي يد العون في إنجاز هذا البحث.

عشاش شمـاي .

الإهـداء

إلى:

أولا أشكر المولى عز وجل الذي رزقني العقل وحسن التوكل عليه سبحانه وتعالى وعلى نعمه الكثيرة التي رزقني إياها، فالحمد لله والشكر لله.

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقها ولا الأرقام أن تحصي فضلها إلى رمز الحب، إلى من دعائها نجاحي وحانها بلسم جراحي إلى أعظم نساء العالم أغلى إمرأة

أمي الحبيبة

إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى من نزع الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى أعظم أب أهداني الحياة بما فيها **والدي العزيز**.

إلى بلسم روحي وحياتي إلى من هم أنس عمري ومخزن ذكرياتي ومصدر سعادتي إخوتي، فهيم، بلقاسم، حفيظ. وإلى أزواجهم زهرة وملعز. وأخواتي نصيرة، ساسية، يسمينة، حمامة وإلى كل براعم العائلة.

إلى روح أخي الطاهرة "**نبيل**" رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

إلى رفيق دربي ومن سندني وشجعني طوال مشواري الدّراسي **فؤاد**.

إلى من كانت صديقة وسندا في هذا العمل وزميلتي **عشاش شماي** وكل عائلتها.

وإلى كل من حملته ذاكرتي ولم تحمله مذكرتي إلى هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

عيشيو نسيمة

شكر وعرفان

اعترافا بالفضل والجميل أتوجه:

- بخالص الشّكر وعميق التّقدير ووافر الامتنان إلى
الأستاذ "إباون سعيد"

لقبوله الإشراف على هذا البحث ولتوجيهاته القيمة وحرصه على النّصح والمتابعة، رغم انشغالاته الكثيرة،

- وبجزيل الشّكر والامتنان لأعضاء اللّجنة الموقرة لتفضّلهم للمناقشة.

شماي ونسيمة

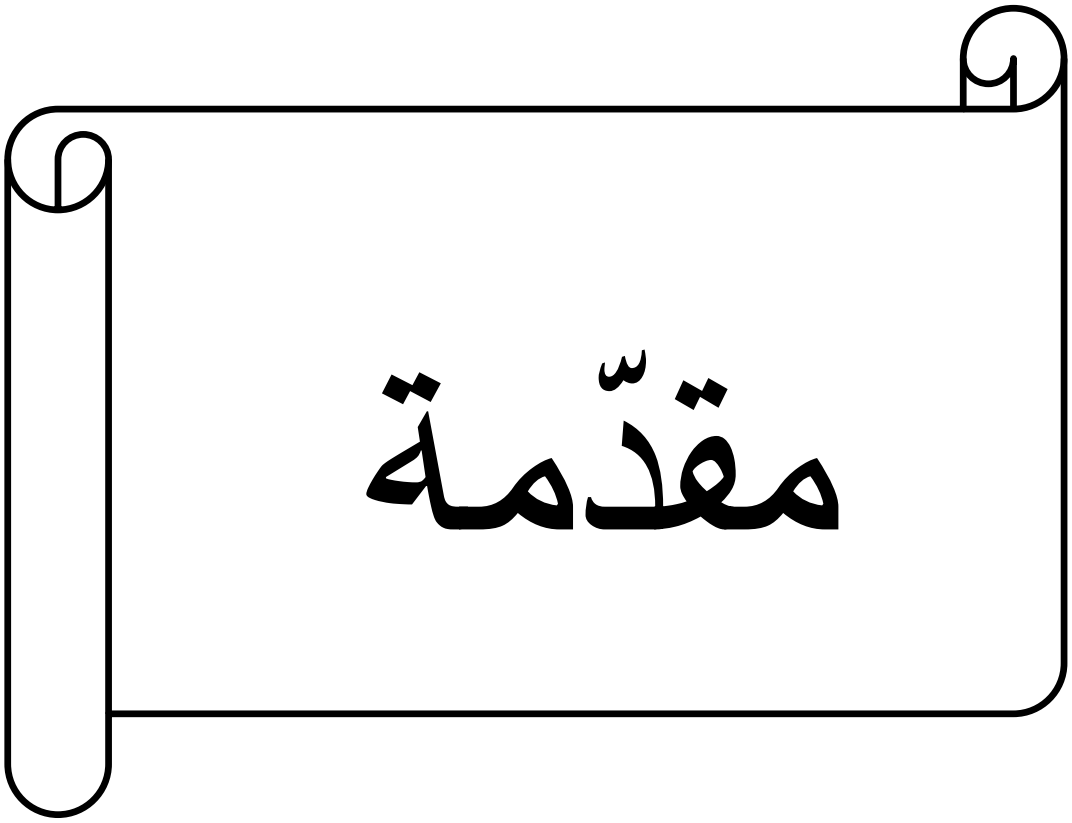
مقدّمة

تعد الرّواية من أرقى الأجناس الأدبية وأقدرها على توسيع الوقائع اليومية بتفاصيلها، في قالب يعرض الواقع ويعطي له تصويرًا جديدًا، وذلك لاتصالها بالواقع المعيش، فهي بمثابة مرآة تعكس هوية المجتمع وانتمائه.

ترتبط الرواية بعلاقة متينة مع الأجناس الأدبية الأخرى كالقصة والأقصوصة والملحمة، والفنون من مثل السينما لدرجة يمكن اعتبار الرّواية سيناريو لا ينقصه إلا الإخراج والتصوير، ويمكن للرواية كذلك أن تتراسل مع السيرة ومع السيرة الذاتية بصفة خاصة، ولعل من أبرز الأمثلة الدالة على هذا النّوع من التراسل هذه الرواية التي بين أيدينا للروائي محمد ساري والموسومة "نيران وادي عيزر" التي نجد فيها تفاصيل حياة الرّوائي منذ طفولته إلى زمن كتابة روايته.

تقوم الرّواية على أركان أساسية منها: الشخصيات، الزمن والمكان. و**المكان** هو الذي يؤطر الأحداث جميعها وهو الذي يجسد أرضية الفعل الرّوائي.

يعدّ **المكان** في الرّواية الموقع الذي تجسدت عليه الأحداث المختلفة، سواء كانت حقيقية أو غير ذلك، ويرتبط المكان بالإنسان وبواقعه وذاكرته ومشاعره، سواء في الماضي أو في الحاضر. إن المكان في الأخير هو ذلك العنصر الفعال الذي لا يمكن الاستغناء عنه في العمل الرّوائي، فمعظم الروايات حاملة لعنصر المكان بالرّغم من وجود بعض الروايات لا مكانية وأخرى محملة بأماكن متخيّلة غير موجودة في أرض الواقع مثل اليوتوبيا وهي عبارة عن مكان متخيل لا وجود له في أرض الواقع فوجوده لا يكمن إلا في مخيلة الرّاوي وفي صفحات روايته.

تعد رواية "**نيران وادي عيزر** "للروائي "**محمد ساري**" إحدى الروايات التي ارتكزت بشكل أساسي وملفت للانتباه على عنصر **المكان**، وهذا البحث مخصص بالكامل لاستقراء كيفيات **تمظهر المكان في الرواية**، ثم البحث في العلاقات المختلفة التي تربطه **بالمكونات**

السردية الأخرى من مثل: **الزمان، الشخصيات والحدث.** ثم السعي لإبراز **أهمية المكان** في هذا العمل الروائي.

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى عدة أسباب منها الأسباب الذاتية المتمثلة في الرّغبة على الاطلاع على نماذج الرّواية الجزائرية، وحب الرواية كجنس أدبي له خصائصه الفنية المميزة، ولكون رواية "نيران وادي عيزر" رواية تخاطب الوجدان قبل العقل لما فيها من مقاطع حساسة، ضف إلى ذلك الدوافع الموضوعية المتلخصة في الكشف عن جمالية الرّواية عامة والرواية الجزائرية بشكل خاص، وذلك من خلال البحث عن التحولات الدلالية للمكان، واستقصاء ذلك التنوع الذي يتميز به في الرواية والكشف عن ثرائه واتساعه، ثم الغوص في أعماق الواقع الوطني عامة وفترة الاستعمار الفرنسي بشكل خاص.

ويسعى البحث، زيادة على ما سبق، إلى وصف الآلية التي اعتمدها محمد ساري لإعادة تشكيل صورة الريف الجزائري، ومنطقة "**عيزر**" بالتحديد، وكيف استطاع عبر خبرته وتجربته الفنية مخاطبة وجدان الناس عبر نموذج مبسط متمثل في تسليط الضوء على ما عاشته عائلة جزائرية معينة ثم الكشف عن الوسائل الفنية التي استعان بها من أجل بناء المكان. وقصد ولوج عالم رواية "**نيران وادي عيزر**" وتحليل المكان فيها نحاول من خلال البحث طرح الأسئلة التالية:

- **كيف بنى السارد المكان في روايته؟**
- **ما هي أهم الثنائيات التي شكلت مفاصل الهيكل الدلالي للمكان؟**
- **ما علاقة المكان بالمكونات السردية الأخرى؟**
- **كيف يتمظهر المكان في "نيران وادي عيزر" وما هي أهم التغيرات التي طرأت عليه في خضم الأحداث والأزمنة المختلفة؟**

للإجابة على هذه الأسئلة الإشكالية، ارتأينا الاعتماد على أدوات إجرائية تحليلية عائدة إلى المنهج البنيوي لأن البحث مخصص بالكامل للبحث في العلاقات التي تربط بين مكونات العملية السردية، كما استعنا أثناء التحليل بآليات التحليل والوصف والتصنيف وخاصة ما تعلق من البحث باستخراج النّصوص وتصنيفها بحسب أنواعها دلالاتها.

قسمنا البحث إلى **مقدمة ومدخل وفصلين، وخاتمة ثم ملحق في الأخير**.

خصصنا **المدخل** الموسوم "**بنية المكان في الرّواية**"، عرفنا فيه **البنية لغة واصطلاحا**، ثم تطرقنا إلى **مفهوم المكان لغة واصطلاحا**، ثم عرجنا على معناه **فلسفيا**، ثم تعرضنا بعد ذلك إلى إبراز **أهمية المكان**، بتطرقنا إلى **أنواع المكان**.

أما **الفصل الأول** الموسوم **أنواع المكان ودلالاته في رواية" نيران وادي عيزر**" فتطرقنا فيه إلى دراسة أنواع المكان في الرّواية، وظهر لنا أنّه يمكن أن يقسّم إلى ثلاث ثنائيات ضدية كبرى هي: **المكان المفتوح والمغلق، الإقامة والانتقال، الريفي والمدني**. وتحمل كل ثنائية ضدية عبر صفاتها، ذكر أهم الأماكن الداخلة فيها، وإبراز كيفية مساهمتها في بناء أحداث الرواية من خلال ما تحمله في طياتها من دلائل ومعاني مختلفة.

أما الفصل الثاني المرسوم "**وادي عيزر**" **وعلاقته بمضمون الرواية**، فتناولنا فيه **علاقة المكان بالمكونات السردية**؛ أي علاقة وادي عيزر بالأحداث والزمن والشخصيات، وركزنا من خلال ذلك على إبراز **تمظهراته وتغيراته**.

وأنهينا بحثنا **بخاتمة** عرضنا فيها أهم النتائج التي وصلنا إليها أثناء هذه الرحلة البحثية الماتعة.

لكل بحث صعوباته، ولعل من أهم الصعوبات التي واجهتنا أثناء البحث تلك المتعلّقة بعدم توفر المراجع التطبيقية التي تناولت رواية "نيران وادي عيزر" بالدراسة والتحليل، لكون الرواية حديثه الصدور، أضِفْ إلى هذا ما تعلق بالرواية نفسها، فهي رواية طويلة يزيد عدد

صفحاتها على ثلاثمائة وخمسون صفحة، إذ ليس بمقدور الباحث، أن يلم بكل صغيرة فيها وبكل حيثياتها في المدة القصيرة المخصصة لاستكمال البحث.

وفي الأخير نتقدّم بجزيل الشكر والتّقدير والعرفان إلى أستاذنا الفاضل سعيد إباون الذي تفضّل بقبول الإشراف على البحث وإحاطته بالعناية والاهتمام وكذا جهده وصبره معنا، فبفضل توجيهه تمّ إنجاز هذا البحث المتواضع.

كما لا ننسى عمّال المكتبة على مختلف التسهيلات المقدمة لنا، ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والنجاح في عملنا.

مدخل مفاهيمي:

بنية المكان في الرواية

1- مفهوم البنية:

المتعارف لدى الباحثين والدّارسين أنّ مصطلح البنية مصطلح حسب التسمية المطلقة عليه فهو قائم على بناء الأشياء وتنظيمها حسب الأهمية العائدة له وبكل منطقية، يبنى على أسس وأركان له قواعده ومبادئه الخاصة، فهو علم مكتف بذاته له عدّة مفاهيم وتعاريف من النّاحية اللّغوية والاصطلاحية.

أ. البنية لغة:

ورد مصطلح البنية structure في جّل المعاجم العربية منها والأجنبية، فمثلا نجده في المعاجم الفرنسية جاء على النّحو الآتي: النّظام ordre، التركيب installation، الهيكلة organisation، والشّكل forme. أما في المعاجم العربية فنجده كما هو واضح ومدروس ومتعارفٌ عليه.

يبدو أنّ المفهوم اللّغوي للفظ البنية يتمحور أساسا على معاني البناء أو تلك الطريقة أو الوسيلة التي ينعقد بها شيء ما ويبنى عليه. وقد ورد مصطلح البنية في "معجم العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، على النّحو التّالي: «بَنَى» ‘بَنَى البِنَاءُ يُبْنَى بَنْيًا وبِنَاءً، وَبَنًى، مقصور. والبنية: الكعبة، يقال: لا وَربَّ هذِه البنية.[1]

كما ورد أيضا في معجم مقاييس اللغة لـ ابن فارس*:(بني) الباء والنون والياء أصلٌ واحد، وهو بناءُ الشيء بِضَمّ بعضِه إلى بعضٍ. تقول بَنَيْتُ البناءَ أبنيه. وتسمَّى مكةُ البَنِيّة.[2]

والملاحظ في هذا التعريف أن "البنية" جاءت من القيام بفعل البناء ومنه يصنع للشيء المحدّد صورة وهيئة.

---

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص165.

*- ابن فارس علم من أعلام اللغة العربية، هو إمام لغوي، محدث ومؤلف، (329هـ-941م /395هـ -1004م) اختلفوا في وطنه فقيل أنه كان من قزوين، كان يجمع إتقان العلماء وظرف الكتاب والشعراء.

[2]-أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللّغة، ج1، دار الفكر، 1979، ص302.

وفي معجم " الوسيط " لمجمع اللغة العربية وردت كلمة "البنية" على هذا النّحو[3]: "(بنَى) الشيءَ بَنيًا، وبِناءً، بُنْيَانًا، أَقام جِدارَه ونحوه. يقال: بَنَى السّفينة وبنى الخَباء. واسْتعمل مجازًا في معانٍ كثيرة، تدور حَول التَأْسِيس والتنمية. يقال: بنى مجدَه، وبَنى الرجالَ. قال الشاعر:

يَبْنى الرّجالَ وغيْرُه يَبْنى القُرَى شَتّان بين قُرَى وبَين الرِّجالِ"

اتضح بعد استعراض التعاريف السابقة أنّ "البنية" في اللّغة العربية كلمة ذات أصول خاصّة ومنظّمة تتحدّد من خلال العلاقات الّتي تبنيها مع الكلمات، فالمفهوم يأتي مع المعنى الّذي تهدف إليه الكلمة خلال جملة ما.

إنّ كلمة "البنية" في جلّ المعاجم العربية مشتقّة من الفعل بَنَى المكّون من الباء، النّون والياء الذي يعني في معناه العادي والأساسي البناء.

ب.البنية اِصطلاحا:

تعدّد وُرود لفظ "بنى" في المعاجم العربية بصيغ ومعان عديدة، فقد ذكر في أفضل وأعظم الكتب القرآن الكريم وذلك في أكثر من آية وجاءت على صيغ مختلفة. فإذا عدنا إلى آيات الله عزّ وجلّ فإننا قد لا نجدها واردة دائما وفق شكلها الأصلي، وإنّما نجدها قد وردت بألفاظ مشتقة من هذا الأصل الثلاثي دالة على معناه، مثال على ذلك بنيان ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُواْ أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ابْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ لِنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِداً﴾ [الكهف/ 21].

[3]- مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية،2005، ص72.

وعلى الرّغم من اِختلاف الصِّيغ الّتي وردت عليها كلمة "البنية" في القرآن الكريم، إلاّ أنها حاملة للمعنى نفسه المقصود وهو البناء، فحتى في أعظم كتاب نعثر على ذلك المعنى القائم والدّال على إقامة أو تأسيس الشيء أو بنائه.

ويمكن القول استنادا إلى ما سبق، بأن " البنية " هي كل ما تبنى عليه الأشياء، وتدّل على البناء بمفرداتها المختلفة والّتي نذكر منها: أشاد، أقام، أسّس، وأنشأ. وهي جميعها نقيض: دمّر، خرّب، وهدّم. فالبنية لها أصولها ودلالاتها ومكانتها الخاصّة في العلوم اللّغوية والأدبية.

يختلف المعنى الاصطلاحي "للبنية" باختلاف المنظور والمحتوى فكلّ حسب تطلعاته، فقد يصعب الوقوف على مفهوم شامل وكليّ، فمن خلال النّظر في تعاريف اللّغويين الغربيين والعرب، يتضح أن بعضها متسم بالشمولية والعمومية، ويتسم بعضها الآخر بالتّبسيط والتجزيء؛ وهذا يعني عدم التعرّض لكلّ معاني هذا المصطلح.

يقول صلاح فضل معرّفا البنية أنها عبارة عن "ترجمة لمجموعة من العلاقات الموجودة بين عناصر مختلفة، أو عمليات أولية تتميز فيما بينها بالتّنظيم والتّواصل بين عناصره المخْتلفة."[4]

ويضيف صلاح فضل في قوله عن البنية أنّها " مجموعة متشابكة من العلاقات، وإن هذه العلاقات تتوقف فيها الأجزاء أو العناصر على بعضها البعض من ناحية وعلاقتها بالكلّ من ناحية أخرى". [5]

لقد جاء في قاموس مصطلحات النّقد المعاصر أنّ "البنية مفهوم يشير إلى النّظام المتّسق الذي تتحد كلّ أجزاءه بمقتضى رابطة تماسك تجعل من اللّغة مجموعة منتظمة من الوحدات أو العلامات التي تتفاضل ويحدِّد بعضها بعض على سبيل التّبادل".[6]

---

[4]-صلاح فضل، النّظرية البنائية في النّقد الأدبي، دار الشّروق، القاهرة، 1998، ص 122.

[5]-المرجع نفسه، ص 123.

كما ورد أيضًا في قاموس السّرديات أنّ البنية "هي شبكة العلاقات الحاصلة بين المكوّنات العديدة للكلّ وبين كل مكون على حده والكلّ. فإذا عرفنا الحكي بوصفه يتألف من القصة، والخطاب، مثلا، كانت بنيته في شبكة العلاقات بين القصة والخطاب، القصة والسّرد ،الخطاب والسّرد".[7]

وأما عالم النّفس السويسري جان بياجيه فقد عرّف البنية في كتابه البنيوية، أنّها عبارة عن مجموعة من التّحولات تحتوي على قوانين كمجموعة (تقابل خصائص العناصر) تبقى أو تغني بلعبة التّحويلات نفسها دون أن تتعدى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجية.[8]

تشتمل البنية حسب تعريف جان بياجيه على قوانين خاصّة تتغير حسب التّحولات الّتي تقوم عليها، مقيّدة بحدود معيّنة لا يمكن الخروج عنها.

صفوة القول، بعد استعراض مجموعة من التعاريف التي حاولت تحديد البنية، إن البنية عبارة عن مجموعة علاقات مبنية على التّكامل والكلّية الرّافضة لتجزأة العمل الفنّي.

2-مفهوم المكان:

تطوّر مصطلح المكان بتطور الاهتمامات الأدبية، حيث حظي بالعديد من الدّراسات وارتبطت به مجموعة من المفاهيم التي اختلفت من باحث إلى آخر، إذْ كثرت معانيه ومصطلحاته ومنها نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر: الحيّز، الفضاء، المحلّ، الملء، الخلاء، المستقرّ، المقرّ.

أُخِذ المكان بعين الاعتبار في الأعمال الأدبية عامة، والرّوائية والقصصية خاصة، وعُدّ كأهمّ عنصر أدبي نظراً لمكانته الّتي بفضلها تُسرد الأحداث، فلا وجود للزّمان أو الشّخصيات بدون عنصر المكان، فكل منها مكَمّل للآخر، وبدون المكان لا يوجد معنى

---

[6]-سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النّقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2001، ص 145.

[7]-جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت، القاهرة، ط1، 2003، ص 191.

[8]

للرّواية أو القصة أو أيّ عمل أدبي آخر، فكما قِيل من قِبل الباحثين المكان جزء لا يتجزأ من الرّواية.

أ. المكان لغة:

ذُكر المكان في القرآن الكريم بصفة قيمة وأهمية ملحوظة فقد نال الموقع وكذا الموضع ومن بين هذه الأمثلة نجد هذه الآية الكريم في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ اَلْمُنَادِ مِن مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق/ 41].

ويقصد بالمكان هنا الموضع والموقع.

كما ذُكر المكان أيضا في سورة النّحل حين قال عزّ وجل ﴿وَضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النّحل/ 112].

نخلص للقول إلى أن المكان في الأعمال الأدبية هو ذلك الموْقع والموْضع الّذي تَحدُثُ فيه الأحداث الرّوائية، إن المكان عبارة عن مطرح للذكريات، تولد في النّفس الأمل والثقة أو الخيبة واليأس، هو ذلك المكان الطّبيعي، التّاريخي، الثقافي وهو رمز من الرّموز الرّوائية.

ونختم الحديث عن المفهوم اللّغوي للمكان بالقول: إنّ المكان مصطلح ذو أهمية سامية لدى النّقاد، وذلك نظرا للمكانة الّتي يكتسبها كعنصر أدبي روائي وقصصي، فهو جزء لا يمكن الاستغناء عنه.

شُرح مصطلح المكان في القواميس والمعاجم بكيفيات متنوعة، فقد تفاوت المعنى اللّغوي واختلف باختلاف الموضع والمكانة الّتي يتواجد في الجملة وقد فسِّر حسب مختلف المعاجم كالآتي:

جاءت كلمة المكان في "معجم العين" "للخليل بن أحمد الفراهيدي" كما يلي: "المَكْنُ: والمِكَنُ: بيضُ الضَّبِّ ونَحوهُ ضَبَّةُ مَكُونَ، والواحدةُ: مكِنه، والمكان في أصل تقدير الفِعْل:

مَفْعل، لأنه موضع للكينونة، غير أنه لَمَّا كَثُرَ أجْروهُ في التّصريف مُجْرَى الفَعال [...] الدّليل على أنّ المكان مَفْعل: أنّ العرب لا تقول: هو منّى مَكانَ كذا وكذا إلاّ بالنّصب".[9]

ولقد ورد أيضا في معجم "مقاييس اللّغة" "لأحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين" على هذا النّحو "(مكنَ)الميم والكاف والنون كلمة واحدة. المَكْن: بَيْضُ الضَّبّ وضَبٌّ مَكُونٌ. (قال*):ومَكْنُ الضِّباب طَعامُ العُرَيبِ ولا تَشتهيهِ نفوسُ العَجَمْ"[10].

وفي معجم "الوسيط" نجد (المَكَانُ) المنزلة. يقال: هو رفيع المكان و الموضعُ، (ج) أمْكِنَةٌ.[11]

ب.المكان اصطلاحا:

وردت كلمة "المكان" في القرآن الكريم في أكثر من موضع وذلك باستخدام مصطلحات: المكان، الدار، المسكن، وغيرها من الألفاظ، ومن أمثلة هذا الورود قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مريم إذ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيًا﴾ [مريم /16].

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمَ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة /35].

والمقصود من المكان في هذه الآيات الكريمات، الموْقع والموْضع الّذي يتَّخذه الإنسان كسبيل أو ملجأْ في الحياة اليومية يحيط به بأَفعاله وأَعماله.

---

[9]-الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج4، 2003، ص 161.

*– هو الشاعر أبو الهندي غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي الرياحي اليربوعي. شاعر مطبوع أدرك الدولتين الأموية والعباسية، وكان جزل الشعر سهل الألفاظ، وكان يتهم بفساد الدين، واستفرغ شعره في وصف الخمر، وهو أوّل من تفنن في وضعها من شعراء الإسلام.

[10]- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللّغة، دار الفكر، ج5، 2007، ص 343.

[11]- مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدّولية، القاهرة، ط4، ج1، 2003، ص 806.

أحرز مصطلح المكان أهمية كبيرة لدى الفلاسفة والباحثين والنّقاد، وذلك راجع لكثرة المفاهيم المقدَّمة من قبلهم التي تمتاز بالوضوح والشّمولية.

يعرّف عبد الله خضر حمد المكان على أنّه "وحدة أساسية من وحدات العمل الأدبي والفنّي في نظرية الأدب، وعُدَّتْ إحدى الوحدات التّقليدية الثلاث، ولطالما كانت مثَار جدل في تحقيق العمل الأدبي والفنِّي في المسرح بالدرجة الأولى، ولم يتجاوزها منظرو الأدب في العصر الحديث، بل صارت إلى ركيزة من ركائِز الرؤية وجمالياتها في النّظرية الأدبية الحديثة".[12]

والمكان عند شعبان عبد الحكيم محمد "عنصر من العناصر المشكّلة للحدث الشّخصي وعامل درامي في الرّواية، له تأثيره على رؤية الكاتب عامة، وتشكيل العمل الروائي".[13]

ولم يعد المكان عند أحمد رجب شلتوت" مجرد وعاء حاوٍ للأحداث والشّخصيات بل هو شخصية موضوعية، كما أنه بعد اجتماعي إذ يتأثر بحياة من حوله كما يؤثر في حياتهم. وبحسب تعبير جون بريس "النّاس هم الأماكن، والأماكن هي النّاس". [14]

إن المكان بالنّظر إلى ما سبق بمثابة أحد الركائز الأدبية والوحدة الأساسية في بناء العمل القصصي والرّوائي، فهو عنصر فعّال ومكمّل لا يمكننا الاستغناء عنه.

ويجدر بنا الانتباه إلى أن مفهوم المكان يرتبط ارتباطا وثيقا، في أحايين كثيرة، بمفهوم آخر ألا وهو مفهوم الفضاء، ويذهب الكثير من الباحثين إلى أنّ الفضاء أشمل وأوسع من المكان، يقول حسن بحراوي في هذا الصدد:" يمكننا النّظر إلى المكان بوصفه شبكة من

---

[12]-عبد الله خضر حمد، روائع قرآنية، دراسة في جماليات المكان السردي، دار القلم، 2007، ص 78.

[13]-شعبان عبد الحكيم محمد، في الرّواية العربية الجديدة، دار العلم و الإيمان، ط1، 2014، ص 83.

[14]- أحمد رجب شلتوت، ربيع بنفسج، قراءة في الرّواية العربية، وكالة الصحافة العربية، ط1، 2020، ص 9.

العلاقات والرؤى ووجهات النّظر التي تتضَامن مع بعضها لتشيِّد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث".[15]

نستنتج مما سبق عرضه أنّ المكان أحد أساسيات الرّواية، فهو جزأ لا يتجزأ منها، به تكتمل العناصر الأخرى كالزمان والحدث والشّخصيات، وبدونه لا يوجد للرّواية معنى، يكون حقيقيا صادرا عن تجربة أو ذكرى مُعَاشة، أو غير حقيقي ناتج من وحي الخيال.

ج. المفهوم الفلسفي للمكان:

اختلفت نظرة الفلاسفة للمكان باختلاف الخلفيات الفكرية، وقد اجتهد في هذا الموضوع بعض المفكرين والفلاسفة أمثال أرسطو وأفلاطون وديكارت، ونستحضر جملة من المفاهيم لبعض الفلاسفة، قديماً وحديثاً، فأفلاطون مثلا يرى أن "المكان يحوي الأشياء، ويقبلها، ويتشكل بها"[16]، وأما المكان عند سبواز وملبراش فهو" امتداد غير متناه"[17]، وأما ديكارت فيرى أن المكان "يمتد في الأبعاد الثلاثة كما حدده إقليدس"[18]، وعن أرسطو، فيذهب إلى أن المكان هو "السّطح الباطن من الجسم الحاوي المماس لسطح الظاهر من الجسم المحوي".[19]

يتبيّن لنا خلال عرض آراء الفلاسفة الغربيين المتعلقة بمفهوم المكان، أنّهم يختلفون في تحديده، فكلٌّ بمنظوره، هناك من ينظر إليه باعتباره شيئا محسوسا بواسطة الادراك باستخدام الحواس كسمع والبصر، وهناك من يراه شيئا ملموسا وهو كل ما يمكن للإنسان الإحساس والشعور به، وهناك من يتصوره ويحاول وصفه باستخدام الأعداد والمصطلحات الرياضيات والهندسية، ونجد من يقول أنّه مالك للأبعد ثلاثة وهي الطّول والعرض والعمق، لكن نلاحظ أنّهم يتفقون في أنّه مصطلح يفيد الاحتواء والإيواء.

---

[15]-حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء- الزمن-الشخصية)،المركز الثقافي العربي، ط1، 1990، ص 32، نقلا عن إياد جوهر عبد الله، البناء الفني في قصص كاظم الأحمدي، دار المعتز، 2007، ص 70.

[16]- باديس فوغالي، الزمان والمكان، في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، ط1، 2007، ص 171.

[17]-المرجع نفسه، ص 171.

[18]-المرجع نفسه، ص 171.

[19]-عبد المنعم الحفني، المعجم الشّامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط1، 2017، ص 830.

يختلف المفهوم باختلاف الثقافات ومما سبق تطرقنا لآراء الفلاسفة الغربيين في مفهومهم للمكان، وسنتناول في الآتي بعض الآراء والتعاريف الخاصة بالعرب:

نستهلّ تعريفنا للمكان بما يقوله أبو الحسن علي الأسدي فيقترن بدل المكان الحيز، ويفرّق بينه وبين مصطلح "الخلاء" إذ يرى أن الحيز عبارة عن المكان، أو تقدير المكان.[20]

كما يذهب عبد الملك مرتاض في كتابه في نظرية الرواية إلى القول "لقد خضنا في أمر هذا المفهوم، وأطلقنا عليه مصطلح ((الحيز)) مقابلا للمصطلحين الفرنسي والإنجليزي: (space، espace) في كل كتاباتنا الأخيرة. وقد حاولنا أن نذكر في كل مرة عرَضْنا فيها لهذا المفهوم علّة إيثارِنا مصطلح ((الحيز))، وليس ((الفضاء)) الذي يشيع في الكتابات النقدية العربية المعاصرة.

ولعلّ أهم ما يمكن إعادةُ ذِكرِه، هنا، حتى لا نكرر كل ما قررناه من ذي قبل، أنّ مصطلح ((الفضاء))، من منظورنا على الأقل، قاصر بالقياس إلى الحيز؛ لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخَواء والفراغ؛ بينما الحيز لدينا ينصرف استعمالُه إلى النُتوء، الوزن، والثِّقَل، والحجْم، والشكل... على حين أن المكان نريد أن نَقِفَه، في العمل الروائي، على مفهوم الحيز الجغرافي وحدَه".[21]

يختلف المفهوم المكانيّ عن الحيّز، فالمكان هو ذلك الشّيء المجرّد الّذي ليس له وجود في الحقيقة، بل يتشكّل ضمن إطار فكري حامل لنِظام معيّن لربط العلاقات، أمّا الحيّز فهو ذلك الشّيء محدود الأطراف ذو مساحة ضيقة يطلق على المكان الجغرافي أو ما يرتبط بالجغرافيا.

---

[20]-باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، المرجع السابق ، ص 172.

[21]-عبد الملك مرتاض، في نظرية الرّواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 121.

أمّا الفارابي فقد اقتفى أثر الكندي ونظر إلى المكان بأنّه ((موجود وبيّن ولا يمكن إنكاره))، وتابعهم الرازي عندما حدّد أبعاد المكان ووصفه ((بالمطلق وشبهه بالوعاء)).[22]

إنَّ الفلاسفة وإنْ اخذوا من فكرة المكان موقفا فلسفيا رافقته المفاهيم الرّياضية والفيزيائية في بعض الأحيان، فإن مصطلح المكان قد خرج من المفهوم العلمي الموضوعي إلى آفاق التّصور والتّخيل، بحيث يرتبط بالجانب الإلهامي والنّفسي شعورياً ولا شعورياً.

وما أردنا الوقوف عنده هو أنّ المكان عبارة عن إدراك ماديّ ملموس من جهة أولى، وهو إدراك معنوي مجرد متعلق بالجانب الوجداني المتخيّل، ولن يكون للمكان المتخيّل وجود إلا بوجود مكان حقيقي أو فيزيائي.

3- أهمية المكان:

يحتل المكان أهمية خاصة في تشكيل العالم الروائي، ويرسم أبعاده لأنه عبارة عن مرآة عاكسة على سطحها صورة الشّخصيات، ويكتشف من خلالها البعد النفسي والاجتماعي، كما يساهم في وصفها بمظاهرها الجسدية ولباسها وسلوكها وعلاقتها بسواها، فما أكثر الأحيان التي يتمكن فيها الإطار البيئي المكاني في تحديد هوية المنتسبين إليه ومن هنا كانت العناية به واضحة، "فمن تشخيص المكان تأخذ الأحداث واقعيتها، لأنه لا يمكن تصور أي حدث إلا في مكان ما، وهكذا تظهر قدرة الروائي على تسخير المكان في مسار الحكي، فيماثل الخيالي، بما هو واقعي أو العكس".[23]

يعدّ المكان اللّبِنة الأولى التي يعتمدها الرّوائي في رسم مسار عمله الإبداعي مستخدما بذلك خياله وإحساسه وكيفية تصوره لذلك المكان ليجعله قمة في الرّوعة يلهف إليه القارئ ويتشوق للعيش فيه والدّخول في تفاصيله ليصبح كأنه مكانا حقيقيا من الواقع المعاش.

---

[22]- حسين علي عبد الحسين الداخلي، الفضاء الشعري عند اللصوص في العصرين الجاهلي و الإسلامي، دار الحامد، الأردن، ط1، 2011، ص 25.

[23]– مزين محمد عبد الله، تحريشي محمد، حداثة مفهوم المكان في الرّواية العربية، جامعة طاهري محمد، بشار، مجلّة دراسات، ص 148.

يذهب إياد جوهر عبد الله في كتابه "البناء الفنّي في قصص كاظم الأحمدي" إلى أن أهمّية المكان تتجسد في إضاءة الأحداث والشّخصيات، فالمكان يمكن أن يتخذ اتجاهين: الأول تقليدي، أي يتخذه مدخلا إلى عالم القصّة، أما الاتجاه الثاني فهو جديد. إذ إنَّ المكان يندمج بالشّخصية ليتحول إلى شخصية في القصّة.[24]

انقسم المكان إلى اتّجاهين: اتجاه تقليدي يرى أنّ المكان مدخل إلى العمل الفنّيّ الأدبي، واتجاه آخر جديد يُطوِّر المكان بحيث يراه مندمجاً مع الشّخصيات، ليتحول إلى شخصية في ذلك العمل، ويكتسب بذلك المكان في الرّواية وفي الدراسات السردية أهمية كبيرة، كونه يمثّل الرّكيزة الأساسية والعنصر الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك من خلاله الشّخصيات.

ويرى حميد لحميداني أن "تشخيص المكان في الرّواية، هو الّذي يجعل من أحداثها بالنّسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها، إنّه يقوم بالدّور نفسه الذي يقوم به الديكور، والخشبة في المسرح. وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أنْ يُتَصَوّر وقوعه إلاّ ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأْطير المكاني".[25]

وقصد إقرار أهمية المكان يشير جيرار جنيت إلى الانطباع الذي كونه مرسيل بروست عن العمل الروائي بحيث يرى أن هذه الأعمال "تمكن القارئ دائما من ارتياد أماكن مجهولة متوهماً بأنّه قادر على أن يسكنها أو يستقرّ فيها إذا شاء".[26]

إن الروائي دائم الحاجة إذًا للمكان، سواء كانت الأماكن غريبة أو مألوفة، وهذا التأثير وأهميته تختلف من عمل إلى آخر، كما تزداد قيمة المكان بمدى قدرة الروائي في خلقه وتجسيده له والتّعبير عنه، فالمكان في العمل الروائي، في آخر المطاف، يشمل حيزا واسعا

---

[24]– إياد جوهر عبد الله، البناء الفني في قصص كاظم الأحمدي، دار المعتز، 2017، ص 71.

[25]- ينظر: حميد لحميداني، بنية النص السردي، من منظور النّقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الحمراء، بيروت، ط1، 1991، ص 65.

[26]- المرجع نفسه، ص 65.

في مجال الدِّراسة السِّردية، فهو عنصر مهم يعتبر الهدف من وجود العمل كله، فهو المحور الأساس الذي تدور حوله الرّواية.

4- أنواع المكان:

تتعدّد أنواع "المكان" ودلالاته وتتوزّع حسب تمظهراته، ويفرض كل نوع منها علاقة خاصة مع الإنسان وتأثيرات مختلفة على شخصيته ومسار حياته، وقد قُسِّم المكان حسب العديد من الدِّراسات إلى ثنائيات متعارضة متمثِّلة في المكان الفردي والجماعي، والمكان المفتوح والمغلق.

يقسم سعيد حورانية المكان إلى نوعين أساسيين (المغلق والمفتوح) ويقدم لنا ما يَضُمّان من أماكن.

أ. المكان المفتوح:

1.الأمكنة الثقافية: فضاء المدن.

2.الأمكنة العامة: فضاء الشوارع والحدائق.

ب. المكان المغلق:

1.أمكنة الإقامة الاختيارية: فضاء البيوت بغرفها، فضاء الملاهي والمقاهي.

2.أمكنة الإقامة الإجبارية: فضاء السجن ومكوناته كالزنزانة وغرف التّحقيق، النّضارة.[27]

أ. الأمكنة المفتوحة:

[27]-محبوبة محمدي محمد عبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص 44.

هو مكان لا يحدّه حيز معين يلتقي فيه أعداد مختلفة من البشر، وهو يزخر بالحركة والحياة، يتواصل الناس فيما بينهم، يحققون فيه مبدأ الميل والعيش في جماعة بعيداً عن العزلة.[28]

الأماكن الثقافية: هي مناطق جغرافية متصلة بنشاط بشري واحد، وكما تعتبر أيضا أمكنة اِمتزجت بعادات سكَّانها وتقاليدهم ومعتقداتهم وطريقة تفكيرهم وعيشهم. كذا ملامح وجوههم والتي أصبحت تعرفُ على أنها ثقافة موحّدة أو ما يعرفُ بحفريات المكان. فالمدينة تعدّ بالتالي أحد الفضاءات الأساسية والممتدة التي تساهم في تكوين الشّخصيات، ولهذا تعدّ أيضا مكاناً ثقافياً بامتياز.

الأماكن العامة: هي أماكن ليست ملكاً لأحد تخضع لسلطةٍ متاحةٍ لكل جمهور العامة، كما تعتبر كوسيلة للتواصل بين الأفراد بمختلف أعمارهم وأجناسهم، يتصرف فيها الفرد بحرية محدودة وسلوك منتظم.

ويُعدَّ الشارع والحديقة مكاناً عاماً مفتوحاً، يمنح للمرءِ راحة نفسية لا تتواجد في الأمكنة المزدحمة، فهي أماكن تتسم بالحرّية يشعر فيها الفرد بالحرّية والرّاحة أكثر من الأمكنة المغلقة.

ب. الأمكنة المغلقة:

هو المكان المحدود الذي تضبطه الحدود والحواجز والإشارات، ويخضع للقياس ويدرك بالحواس ممّا يعْزِل صاحبه عن العالم الخارجي، وكثيراً ما يكون رمزاً للحميمية والأُلْفة والأمن والانغلاق والعزلة والاكتئاب.[29]

---

[28]- كمال محمودي، شهرزاد محمودي، الأماكن المفتوحة في رواية "حائط المبكى" لعز الدين جلاوجي، مجلة أمارات اللّغة والأدب والنقد، العدد 2، جامعة الجزائر 2، جامعة تيزي وزو، 2021/09/30، ص 205.

[29]–مرين محمد عبد الله، تحريشي محمد، حداثة مفهوم المكان في الرواية، رواية وراء السراب قليلا لإبراهيم درغوثيأ نموذجا، جوان 2015، ص 150.

والمكان المغلق معتمد من قِبل الإنسان، محدود المساحة يتبنّاه بمراده، كالمنزل أو مكان العمل أو بغير إرادته كالسّجن، يعمل على خلق مشاعر متفاوتة في النّفسية.

الأماكن المغلقة الاختيارية: هي أماكن تقيم فيها الشّخصيات بإرادتها مدّة من الزمن بحيث تنشأ بينهما علاقة تأثير وتّأثر. ومن أنواعها نذكر:

الأمكنة الأليفة: وهي تلك التي ألِف الإنسان العيش فيها، كالبيت الذي ولد فيه أو القرية التي عاش فيها طفولته ودائما ما يحنّ إليها ويرغب في العودة إليها حتى ولو في ذكرياته.

الأمكنة الاختيارية المسلّية: وهي الأمكنة التي يختارها المرء ليبقى فيها فترة من الزّمن بغرض التسلية والترويح عنْ النَّفس، أمكنة تستقبل جميع النّاس دون استثناء من أجل خلق حوار أو جدل حول قضية ما، ومن أمثلة الأمكنة المغلقة الاختيارية والمسلية المقاهي، الملاهي.[30]

الأمكنة الإجبارية: هو مكان مُحدَّد المساحة يتسم بالضّيق مثل: الزنزانة، الإقامة الجبرية التي تفرض على المرء، فهي أمكنة تعزل المرء عن العالم الخارجي وتقيد من حريته.

أهم ما يمكن الخلوص إليه بعد هذا العرض هو أنّ الأمكنة في الرّواية عبارة عن رموز ودلالات تعبّر عن حالة ووضع الشّخصية في الرّواية، فمن خلاله يمكننا الوصول لحالة الإنسان سواء كان في معزل عن الحرّية أو في أتمّ حريته، سواء كان مريضا أو في صحته. فبفضله يمكننا استنتاج العديد من الحالات الخاصة بالشّخوص الروائية، ومن الواضح أيضا أنّ المكان ذو أهمية كبيرة ودور فعّال في العمل الأدبي عامة والروائي خاصةً.

[30]- محبوبة محمدي محمد أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص 63.

الفصل الأول:

أنواع المكان ودلالاته في رواية

"نيران وادي عيزر".

نتناول في هذا الفصل أشكالاً محددة من الأماكن، ولقد تبيّن أنّ المكان في رواية "نيران وادي عيزر "من الأساسيات التي تم الاستناد عليها، كما أنه يرتبط بشخصياتها ارتباطا وثيقا، ويستحوذ على جل الاهتمام، ولعل الغرض من اختيار هذه الأماكن هو رسم الرّواية بطابع فنّي واقعي، يزيد من توتر الفعل الرّوائي، وهي، فضلا عن هذا، رموز تكشف عن توجهات الرّواية بشكل عام.

ولا شك أن رواية "نيران وادي عيزر" رواية مكانية محورها الأول والأساسي والأهم هو وادي عيزر، والرواية في مجملها عبارة عن سيرة ذاتية رواها الكاتب باستخدام ذكرياته وذكريات غيره، مصوّرا تفاصيلها، ومضيفا عليها أبعادا فنية وأخرى واقعية، ونجد في هذه الرّواية العديد من الأماكن، معظمها ذات صلة بالوادي؛ أي "وادي عيزر"، فهي متصلة به من كلّ الاتّجاهات، سواء من شرقه أو من غربه أو من جنوبه أو من شماله، والرواية، زيادة على هذا، قد جسدت أحداثاً وواقعاً معاشاً مليئاً بالأحداث في مدة زمنية معينة، والأحداث ترتبط هي كذلك ارتباطاً قويًّا بـ"وادي عيزر".

تتميز الأماكن الواردة في الرواية بالشّمولية والاختلاف والتّنوع، ومن أجل هذا ستكون دراستها من زوايا مختلفة، وسنرى كيف يمكن للمكان أن ينعكس إيجاباً أو سلباً على الشخصيات والأحداث والزّمان.

كما أنّ المكان في الرواية يتشكل ويتكوّن عبر العديد من الثنائيات المتضادة من مثل: المفتوح/ المغلق، المتخيل/ الواقعي، المألوف/ المعادي، المدني/ الرّيفي، وكذا أماكن الانتقال والإقامة وغيرها من الثّنائيات، وكلّ هذا راجع، فيما يبدو، إلى الحساسية المفرطة التي تسم المكان في الرواية، والتّحول الدائم فيه عبر الانتقال بين أنواعه العديدة.

سنتطرق في أثناء تحليل الرّواية إلى استنطاق بعض الثنائيات التي تحمل معان وسيمات، والمتعلقة أساساً بالمكان، ومن هذه الثنائيات نذكر: الأمكنة المفتوحة والمغلقة، أمكنة الإقامة والانتقال (الاختيارية، الإجبارية)، المكان المدني والرّيفي.

1- الأماكن المغلقة والمفتوحة:

تتشكل الأماكن المغلقة والمفتوحة من طبيعة المكان محدودا كان أو غير محدود، ويمكن وصف الأمكنة المغلقة والمفتوحة عبر طرح مجموعة من الأسئلة من مثل: هل يشكل المكان عائقا أمام الفرد أو فيه كامل الحرّية في التنقل والتحرّك؟ هل نجد فيه قيودا وحواجز؟ هل تحكمه ضوابط وشروط، وهل يسمح فيه القيام بأمور وتمنع أخرى؟ هل يتسم المكان بالصغر والضيق أو بالاتساع والشساعة؟ إلى غيره من الاقتراحات والتساؤلات.

أولا: الأماكن المغلقة:

وتتمثل الأماكن المغلقة في رواية "نيران وادي عيزر" فيما يلي:

1.البيت: هو مأوى للإنسان بعد الكدّ والتّعب، وحاجة أساسية لا يستطيع الاستغناء عنها، فهو بمثابة الجسد والرّوح كما وصفه باشلار بقوله: "البيت جسد وروح، وهو عالم الإنسان الأول"[1].

ويرتبط مفهوم البيت ارتباطا وثيقا بالطمأنينة والاستقرار، فهو مصدر راحة الإنسان الذي يعيش بين جُدرانه في سكينة وحب، فيه يمارس حرّيته بالطريقة التي يريدها ويتمناها دون أي قيود أو حرج، فإذا وصفنا البيت أخذنا نظرة عن الإنسان الذي يسكن فيه.

والبيت موطن الإنسان الأول ومسقط رأسه ومكان نشأته، فيه وقعت جلّ أوليّات حياته من نطق وحركة ومشي، وفيه بكينا وضحكنا، وفيه كبرنا وترعرعنا، فيه تأمّلنا وخابت آمالنا، هو تلك المملكة الصغيرة الخاصّة، الدافئة الجميلة، لكلّ ركنٍ فيها حكاية وذكرى جميلة كانت أو سيئة، وهو نبع الدّفء والأمان.

ورد مصطلح البيت في الرواية على أشكال مختلفة، أهمها: المنزل والدّار. فبالرّغم من اِختلافها في الشّكل والحجم، إلاّ أنّها أمكنة للسّكن والاحتماء تحت سقف يقي من البرد والأمطار،

[1]–شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرّواية العربية، دار فارس، ط1، بيروت، 1994، ص 38.

ومن كل الأضرار التي تداهم الإنسان خارج حدود مسكنه. ويكمن الفرق فيما بينهم في أنّ الدّار هي الأصل الواسع من حيث السّكن والأكبر حجما من البيت ويتضّح هذا في قول شاكر النابلسي: "الدّار هي الأصل والمكان الأوسع في السّكن، لقد أشار إليه أنّه كان في التراث إشارات كثيرة على أنّها المكان الأكبر ومكان السكنى الأعظم"[1]. أمّا عن الفرق بين البيت والمنزل من منظور آخر، فيتضح بأن "البيت لا يمكن الرّحيل عنه؛ فالإنسان يحيا به لا يعيش فيه فقط، فهو مبيت الجسد وسكون النّفس، وهو مرتبط بالوجود الإنساني، أمّا المنزل فهو منفصل عن الوجود الإنساني من ناحية نفسية، لأنه يسكنه صاحب العقّار والسّمسار، ولا تستطيع النّفس أن ترتبط به وتتواجد لأنّه يمكن بيعه وشراؤه وتأجيره واستئجاره، على خلاف البيت الذي يُمتلك ولا يباع ولا يؤجّر، ويمتلك جوهر الإنسان، ولا يعدّ المنزل بيتًا، لأنّ الإنسان قد ينام أو يقوم في منازل عدة، أو يشتريها، أو يمتلك أكثر من منزل في أكثر من مكان، أمّا البيت فواحد يمتلكُ بالجوهر، ويبقى الحنين له والعودة إليه، كذلك البيوت شخصيات، والمنازل أفراد"[2]. فأين موقع بيوت "نيران وادي عيزر" ومنازلها من كلّ هذه الأوصاف والسّيمات؟

لقد أورد الكّاتب فضاء البيت في روايته وذكرهُ في العديد من المرّات، فقد ذكر كيف قُنْبلت منازلهم ودُمِّرت إثر إطلاق القنابل، حيث يقول في هذا الخصوص "في يوم التّهجير، اضطررنا إلى قطع الوادي للوصول إلى الطريق الذي سنسلكه فرارا من العساكر الفرنسيين الّذين غصّت بهم المنطقة، مدعمين بالطائرات الحربية التي أمطرت ديارنا بالقنابل الحارقة، ما أدّى إلى تدمير وحرق منازلنا"[3].

---

[1]– ينظر: شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرّواية العربية ص، 138.

ينظر: عبير مروان خليل سياج، صورة البيت في محمد ساري، نيران وادي عيزر النسوية الفلسطينية، دار الخلج، ط1، [2]–2022، ص 15.

[3]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، دار العين، ط1، القاهرة، 2022، ص 11،12.

صفوة القول تكمن في أنّ البيت والمنزل والدار لا فرق بينها فكلها مصطلحات تعبّر عن معنى واحد للمكان، فهو ذلك الملجأ الذي يسكنه الإنسان مكوّن من جدران وسقف وأرضية مزينة بأبواب ونوافذ يبعث في النّفوس السّكينة.

أجزاء البيت: يحوي البيت العديد من الأجزاء التي ترتبط ارتباطا وثيقا بمالكها فكل بيت وأجزائه المرتبطة به، ويكاد لا يخلو أي بيت من ذكر أجزائه ووصفها:

المطبخ: يعد المطبخ من أساسيات أي بيت، لأنه يشكّل حيّزا جغرافيا يحرّك الشّخصيات في وقت معين، ويعبر عن الحالة الاجتماعية لأصحابه.

الغرفة: البيت بطبيعة الحال عبارة عن ذلك المكان الذي ينقسم للعديد من الغرف كل غرفة بما تختص، فهناك غرف للنوم، وأخرى لاستقبال الضيوف والاستراحة واجتماع أفراد الأسرة.

2. الكوخ: هو المسكن الذي يتخذه الفلاح قرب زرعه ليقيم فيه بعض الوقت حِفاظا على محصوله.[1] ثم إنّ مفهوم للكوخ يقتصر في كونه المأوى والمسكن المليء بالبساطة يُصنع في أغلب الأوقات من الخشب.

الكوخ في روايتنا هو ذلك المكان والفضاء الذي استخدمه سكان "وادي عيزر" كوسيلةٍ للعيش والسَّكن، هو المكان الذي حُتِّم العيش فيه لأنه الملجأ الوحيد للاحتماء من البرد والحرّ نظرا للدمار الذي حلّ بالبيوت والدّيار من قِبل المستعمر، ويظهر ذلك من خلال قول الأب "كنا ننام على حصائر خشنة من الدوم، من تلك التي يصنعها لنا جدّك، في كوخ حقير بجانب الحمار والبغل"[2].

3. السّجن: نجد السّجن من الأماكن المغلقة الأخرى التي تواجدت في الرّواية حيث خصص الكاتب عنوانا كاملا له. والسجن هو ذلك العالم المانع للحرية الإنسانية، بحيث يقيم فيه بالغصب فهو مكان إجباري يمكث فيه الإنسان لفترة زمنية محددة لمدة معلومة أو يحكم عليه لمدى الحياة

---

[1]– محمد السيد مطر، أسلوبيات علم الأسلوب.. مفاهيم وتطبيقات، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2016، ص 41.

[2]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 28.

أي المؤبّد، خلال فترة المكوث في السّجن يحْكم على المرء بالكثير من الأعمال الشّاقة، وأي خطأ صغيرا كان أو كبيرا يؤدي بصاحبه لعقوبة شديدة، فينتهي به المطاف داخل زنزانة مظلمة، أو داخل مكانٍ كرِيه الرّائحة، إلى غير ذلك من الأمور القاسية والتّعذيبية، وهناك من النّاس من يدخلون السّجن رغم براءتهم وبدون أي سبب يذكر، بعد أن تلفق ضدهم مجموعة من التّهم.

يقول شاكر النابلسي في جماليات المكان خلال وصفه للسّجون على أنّها "أمكنة روائية لها جمالية فنّية مميزة تميزاً فنِّيًا ملحوظًا، وذلك يعود إلى التّجربة القاسية المعاشة، في مثل هذه الأمكنة"[1].

ويحمله كتاب النابلسي إشارات إلى الدّلالات الّتي استخدمها هلسا المتمثِّلة في: عالم النّور المعبّر عن الحرّية، وعالم الظّلمة المعبّر عن السّجن. كما أكّد أيضا على المفهوم الدّلالي الكلّي من خلال العبارة الآتية:" إنه خارج العالم" وهذه العبارة، تعني الطّرد، والنفي، والحرمان، والقهر. وهي عبارة تُلخص ما يقوم به السجّان من سلخ وفصل وعزلة مطلقة للإنسان عن عالمه الخاص. وعالمه العام، فمن أوليات السجن، أن يوضع السَّجين في عزلة، لكي يعود الى نفسه، ويصبح أمام (الذنب) الذي ارتكبه وجهاً لوجه، لكي يكره (الذنب)[2].

وجاء أيضا في كتاب شاكر النابلسي أنّ السّجن ذو دلالة قد يحوله إلى قبر مؤقت فيه كل ما يرمز للقبر: المساحة الضّيقة، الظّلام التّام، النّوم الثقيل، الانفصال عن العالم، الوحدة، السّكون، العودة إلى الجواني، الحساب، والدود الذي يأكل الأجسام[3]. ولقد وُرِد أيضا أنّ السّجن ليس مجرّد مكان، ذا أبعاد هندسية مميزة عن باقي الأمكنة الأخرى في الواقع، من حيث قسوة هذه الأبعاد، ولكنه أصبح مكانا يعيد صياغة الإنسان من جديد.

الإنسان في الحرية، هو سيّد المكان، وسيّد كل شيء، في حين أنّ المكان في الحالة الثانية السّجن هو السيّد، وهو الذي يعيد صياغة الآخر بأنظمته وقوانينه، وعالمه الكلي الخاص، لأن

---

[1]– شاكر النابلسي، جمالية المكان في الرواية العربية، ص 310.

[2]–المرجع نفسه، ص 314.

[3]–نفسه، ص 315.

الآخر هنا فاقد الحرّية، وهو مجرد متلقٍ، من هنا أطلقتْ السّلطة على السّجون منذ عهد بعيد اسم أماكن الإصلاح والتهذيب، وسمي السّجن بالمؤسسة الإصلاحية؛ أي بمعنى إعادة صياغة الآخر عقليا وفكريا وأخلاقيا، أي إعادة بنائه من جديد.

لقد خصّص محمد ساري في روايته عنوانا كاملا خاصاً بالسّجن، أسماه "السّجن والتّعذيب الرهيب"[1]، فيه سرد ذكريات والده ومعاناته في هذا المكان، وتطرّق إلى كلّ ما مرّ به هذا الوالد من بطش الاستعمار وتعذيبه، بسبب عدم اِعترافه وعدم خيانة الفلاقة المجاهدين، حيث كان صامدا مخلصا وصابرا، وجسّد محمد ساري هذا في قوله على لسان والده: "سُجنت لأول مرّة ونحن لا زلنا نسكن في عيزر، كنت أدرك أنّ تعاملي مع المجاهدين والاتصال الدائم بهم وزيارة مراكزهم في الجبال المجاورة قد يشكلّ خطرا على حريتي بل وعلى حياتي"[2].

لقد كان الأب مخلصا، فبالرّغم من مروره بشتى أنواع التّعذيب، إلاّ أنّه لم يشِ ولو بحرف للمستعمر عن مكان المجاهدين وأخبارهم، والدّليل على ذلك أنّهم قاموا بتعذيبه بشتى الطرق، كغطس الرأس في مياه قذرة، والضّرب المُبرّح، واستخدام الكهرباء، فقد قال الأب بهذا الخصوص: "بعد مدّة، أحسست بسعادة تسري في عروقي، وغمرني حبور الانتصار نعم لقد انتصرت على أعدائي! لقد قاومت أشنع طرقهم الوحشية في إذلال السّجناء وإرغامهم على الكلام. نعم انتصرت لأنني لم أتكلّم، ولم أخن قضيتي وإخواني المجاهدين !"[3].

ولقد ذكر محمد ساري في الرّواية العديد من السّجون ونذكر منها سجن "مارصو"، "رفاي"، بول كازيل بلانكو، والسكتور، كما أنّه ذكر أيضا أجزاء من السّجن ونذكرها فيما يلي:

– ***النّفق المعتّم:*** هو نفق ذو مغلاق حديدي وهو أحد أماكن التّعذيب، اِستخدمه المستعمر استبدادا للمحتلين وتعذيبا لهم بدون أية شفقةٍ ولا رحمة تذْكر وبكلّ برود، ويقال إنّ الإنسان السّوي

---

[1]– ينظر: محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 201.

[2]–المصدر نفسه، ص 201.

[3]–نفسه، ص 237.

يستحي أنْ يُخضِع حتى البهائم لمثل هذا الظّلم، فحسب ما ورد في الرّواية نستنتج أنّ هذا المكان عميق عمق الصالة ليس بها أي أثاث، وهو مكان تسوده ظلمة دامسة، ومتسم بالبرودة الشديدة، ومليء بماء بارد كريه الرّائحة، بذكره فقط ترجفُ الأبدان وتدمى القلوب[1].

– ***الغرفة المظلمة:*** هي تلك الغرفة الفارغة المعتمة لا ضوء فيها ولا نور، يستخدمونها للتعذيب، ولقد أشار إليها الأب في قوله: "عند استيقاظي، كنت لا أزال مربوطا إلى الكرسي، ولكن الغرفة فارغة ومظلمة. جسدي يئنّ من جميع الجهات، ورأسي يكاد ينفجر ألما وجدت صعوبة لأُبْقِي عينيّ مفتوحتين، وبلا أنْ أمسّهما عرفت أنهما منتفختان"[2].

–***الغرفة المضيئة***: هي غرفة للاضطهاد يستخدمونها في عقاب السّجناء، فبعدما يتركوهم في تلك الغرفة المظلمة لساعات طويلة في عتمة تامة يأخذونهم إلى هذه الغرفة لعذاب معاكس للعذاب الذي قبله، ليشتد الألم وتكون فرصة البوح بالأسرار كبيرة، ويظهر هذا المكان في الرواية في قول الأب عندما أدخلوه إلى الغرفة المضيئة :"ساعات طويلة قضيتها في العتمة التّامة، وهاهم يرشّون عينيّ بنور ساطع عصيّ الاحتمال"[3].

– ***مطبخ السّجن***: هو مكان مخصص للطّبخ والأكل، وحسب الرّواية فهو أحد أجزاء السّجن لذا يمكننا أن نقول إن هذا الفضاء المكاني بالنّسبة للسّجناء بمثابة محل للراحة والسّكينة ليس تلك الراحة التّامة لأنه على كلّ حال موجود في السّجن الإجباري، لكن أفضل من أي مكان آخر يؤدي إلى التعذيب والآلام والمعاناة، ولقد لُمِّح لهذا المكان من خلال قول السارد: "بعد أسبوع أوقفوا الاستنطاق نقلت للعمل في المطبخ، كلّفت بالعديد من الأشغال كالتّنظيف، غسل الأواني، تقشير البطاطا وغيرها من الأعمال. قال أنّه في البداية، رأيت كل هذا إهانة ومذلّة لأنّه عمل النّساء، لكن حسب كلام المسؤول عن الطبخ والمطبخ الذي صرّح قائلا : أحمد ربك أنّهم بعثوك عندي أين

[1]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 223.

[2]–المصدر نفسه، ص 226 .

[3]–نفسه، ص 224.

تستطيع أن تأكل وتشرب على هواك، قم بعملك كما ينبغي وتوقف عن الشكوى كالأطفال، فإن الأماكن الأخرى جحيم لا يطاق"[1].

– ***المرحاض***: هو ذلك المكان الذي يقصده الإنسان لقضاء حاجاته الطبيعية، فلا بيت يخلو من وجوده، نجده في معظم الأماكن كالمقهى، المشفى، المكاتب والمحالات، كما نجده في السّجن.

ظهر المرحاض في الرّواية كمكان للتعذيب، فالمستعمر لم يرحم أي سجين جزائري حيث طبّق عليه كل أنواع التّعذيب والإبادة، فعلى لسان الأب نجد قوله:" أول مكان عرفت فيه أنواع التّعذيب ألا وهو غطس الرأس داخل حوض مياه عفنة"[2]. وقد وصف هذا المكان على أنّه مكان غير نظيف وعفن كريه الرائحة.

– ***المستودع الكبير***: المستودع بمفهومه العام هو محزن أو مكان لتخزين البضائع، وفي رواية "نيران وادي عيزر" هو: "مكان يوجد داخل السّجن يضعون فيه السّجناء كأنّهم بضاعة، يوجد داخله حوالي عشرين سجينا متناثرون في الزّوايا، ملفوفون في معاطفهم وبرانسهم، يتبادلون أطراف الحديث بأصوات منخفضة"[3].

– ***الصالة الرحبة***: وصف هذا المكان في الرّواية على أنّه مكان تضيئه لامبة تتدلى من السقف العالي نورها باهت وخافت، كضوء شمعة[4].

– ***المرقد:*** هو المكان المخصّص للنّوم والارتياح، وفي رواية "نيران وادي عيزر" يعدّ من الأماكن التي حظي فيها السّجين بقسطٍ من الرّاحة مما سهّل قليلا حياته.

– ***المصّحة***: هي مكان صغير في السّجن فيه بعض المستلزمات الطبّية التي تفتقر للضرورية منها، كما تفتقر أيضا للأدوية، بالرّغم من الكم الهائل من الأسرى، وقد قيل في هذا

---

[1]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 208.

[2]–المصدر نفسه، ص 208.

[3]–نفسه، ص 251.

[4]– نفسه، ص 251.

الخصوص: "يعاني المساجين من أمراض كثيرة في العيون والأسنان وآلام البطن التي تتكاثر شهرا بعد شهر ويبقون دون علاج"[1].

– ***الإدارة:*** هو مقرّ ومركز السجن والثكنة تنفّذ فيه الأحكام كالقوانين والعقوبات السالبة للحرية بأوامر صادرة من الجهة القضائية والحاكمة.

ولعل أهمّ شيء يمكن أن يحيل عليه مفهوم السجن وأماكنه العديدة بالكيفية التي تناولته رواية "نيران وادي عيزر" هو أنه أضحى بمثابة جحيم على الأرض للمجاهدين الأبطال وكل من تسوّل له نفسه الوقوف بجنبهم ومعاونتهم، ثم إن السّجن في هذه الرواية أصبح مطيّة لوصف الممارسات الوحشية للمستعمر التي لا تمت لأعراف الإنسانية بأي صلة.

4.المحتشد:

يعدّ المحتشد "مستوطنة أقيمت حديثا تضمّ المواطنين غير محكوم عليهم قضائيا تحيط بها أسلاك شائكة ويحرسها الجنود"[2] وبالتالي فهو مركز لتجمع السّكان حيث إن السلطات الفرنسية حاولت إقامة مراكز تجمّع مع بداية الثورة للسكان أطلق عليها في غالب الأحيان اسم المحتشدات، حشدت فيه عائلات بأكملها تمّ ترحلها من قراها الأصلية إلى أماكن مختارة، ويراع في هذه المحتشدات حين تقام، قربها من الثكنات العسكرية والطرق الرئيسية، حيث يمكن مراقبة الأهالي وإخضاعهم للتفتيش والتعذيب البسيكولوجي من جهة، وعزلهم عن الثورة وحرمانها من دعمهم اللوجستيكي"[3].

عادة ما يحمل مقر الإقامة دلالات إيجابية وحنينية لذات الإنسان، لكن إن أجْبر الفرد علي ترك مكانه ومسقط رأسه والاستقرار مرغما في مكان يقيد حريته ونشاطه، فسيصبح بالنسبة له

---

[1]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 255.

[2]–عبد الملك مرتاض، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية، (1962،1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 106. نقلا: عن نور الدين مقدر، "المحتشدات الفرنسية خلال الثورة التحريرية (1962–1955)، مجلة دراسات، مج07، ع1، ميلة، 2020، ص23.

[3]–عبد الكريم بوصفصاف: حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف، (1954–1962)، مديرية ومنظمة المجاهدين لولاية سطيف، 1988، ص 53. نقلا عن: المرجع نفسه، ص 23.

كالسّجن، ويبرز المحتشد في "نيران وادي عيزر" بعد الترحيل القصري الذي عاشته العائلات، حيث تركوا بيوتهم وأرض أجدادهم قصرا، ليرموا داخل محتشد تنعدم فيه أساسيات العيش. يقول الأب في مشهد سردي يصف فيه المحتشد: ومن حسن حظنا أنّ الطائرات لم تعد في تلك الأمسية. ستُنهي مهمتها القذرة في يوم الغد، مهمة تدمير وحرق جميع الديار والمجمعات السكنية في ناحية عيزر تيتاموسي وتهجير سكانها، نصفهم باتّجاه الشمال نحو ريفاي وشرشال، والنصف الآخر باتّجاه الجنوب إلي بيرار ومارْصو، وأسرهم في مُحتشدات محروسة لسنوات طويلة إلي غاية نهاية الحرب واستقلال البلاد"[1].

ويظهر أيضا هذا المكان في قول السارد: "جاء العساكر الفرنسيون برَزم من الشبابيك الحديدية والأسلاك الشائكة مع الفؤوس والمعاول وأجبروا الرجال على بناء السياج الدائري على جميع سكنات المحتشد، ولم يتركوا إلا فتحة واحدة للخروج والدخول، يحرسه عسكريان ليل نهار، ويفتّشان القفَف والأكياس التي يحملها الرجال والنساء، وإنْ شكّوا في واحد، يوقفونه ويحوّلونه مباشرة إلى الثكنة المجاورة للاستنطاق.

هنا، في هذا المحتشَد السكاني الرهيب، الذي يُعرَف بمخيّم ((لاصاص ريفاي))، وعند الفرنسيين بـ((مُعسكر التجمّع السكاني))، عِشْت سنوات طفولتي الأولى إلى غاية استقلال البلاد في ظروف أقل ما يقال عنها إنّها مُهينة ومُذلة لكرامة الإنسان"[2].

لم يكن المحتشد في روايتنا بالفضاء الرحب الذي يسهّل على الإنسان الانتقال ومداومة الحياة فيه بسهولة، إنّما هو فضاء تكبح فيه الحرية ويتقيد فيه المرء بتعليمات العساكر إلى حدّ إيقاف نشاطه الإنساني وشلّ قدراته في أداء مهامه، يقول الأب واصفا هذا الوضع: "لم تعد أيام

[1]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 143– 144.

[2]–المصدر نفسه، ص 189.

بن يامنة المباركة إلاّ ذكرى بعيدة. المحتشد الجديد في ريفاي صعّب مهمة التواصل إلى حد انعدامها[1]".

5. الثكنة: هي مركز عسكري مخصّص لإقامة الجنود، فيه يخضع المقيم الجندي لقوانين ونظم داخل الوحدة. وورد مكان الثكنة أو المعسكر في رواية "نيران وادي عيزر" في أكثر من موضع وعلى هيئة واحدة، ألاّ وهي مقر يقيم فيه العساكر الفرنسيون، يحتجزون فيه الأسرى الجزائريين الذين يسمونهم "الفلاقة" الذين هم في نظرهم أناس خارجون عن القانون.

يركز السارد في تقديم الثكنة بذكر كل الثكنات التي مرّ بها الأب خلال فترة سجنه وكيف كانت المعاملة التي تلقاها في كل سجنٍ وثكنة مرّ بهما، ويتبيّن هذا حين قال الأب: "أخذونا إلى ثكنة ببلدية مارْصو وحَجزونا في مستودع مع سجناء آخرين كانوا هناك منذ أيام، وهم أكثر من ثلاثين فردا"[2].

ولا شك أنّ هذا الفضاء المكاني من أسوء الأماكن التي مر بها الأب في حياته، حيث اعتبر الثكنة مكاناً رأى فيه أبشع لحظات الظّلم التي بقيت راسخة في ذاكرته، ويظهر ذلك في قوله: "في المرة الثانية، أوقفوني أثناء العمل في مزرعة كارتيلو وأخذوني إلى معسكر بوعبدين، حيث حبسوني مدة عشرين يوما. العساكر في بوعبدين أفظاظ غلاظ، يعنفوننا في كل الأوقات. من اليوم الأول، تلقيت ضربة بأخمص البندقية على جبهتي [...] ولكن التعذيب الحقيقي، ذلك الذي تستخدم فيه الكهرباء إلى جانب غطس الرأس داخل أحواض المياه القذرة، عرفتها فيما بعد في "السكتور"، القطاع العسكري بشرشال، داخل ثكنة تقع علي ساحل البحر، بالمدخل الشرقي للمدينة، بالمكان المسمى "تيزيرين" "[3].

كما ذكر الأب أيضا المعسكر الأخير الذي قضي فيه سنتين كاملتين، فيقول حينما نقلوه من ثكنة "مارصو" إلى معسكر "بول كازيل": "انتظرتنا حافلة صغيرة قديمة وأخذتنا إلى معسكر بول

---

[1]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 310.

[2]–المصدر نفسه، ص 207.

[3]–نفسه، ص208– 209.

كازيل الواقع جنوب المدينة بحوالي عشرة كيلومترا[1]. كان المعسكر كبيرا جدا، ببناياته الواطئة الممتدّة على مدي البصر، بعضها بطابقين ولكنها قليلة، ومستودعات رحبة حيث المطاعم والمطابخ"[2].

6. المستشفى: يعدّ المستشفى من المنشآت الهامة في المجتمع الحديث، حيث إنّه يتولى تقديم مزيج متنوع من الخدمات العلاجية، الوقائية، التعلمية، التدريبية، والبحثية، ليسهم بذلك في رفع المستوى الصحي للبلاد، ومن ثم توفير الظروف المناسبة على تحقيق الأهداف الإنتاجية والاقتصادية لمستوى كفاءة مرتفعة.

يمثل المشفى المكان الذي ينتقل فيه المريض للحال الأحسن، وهو مكان مجهز بمستلزمات التمريض من الأطباء والممرضين والأدوية اللاّزمة، ويتموقع في مكان حيث يسود السّكون والهدوء.

كان للمستشفى دور كبير في الرّواية حيث ظهر فيها حاملا لدلالة إيحائية تحوّل بموجبها إلى مأوى ومكان طمأنينة تلقى فيه الأب الرّعاية اللازمة، وهو المكان الذي أنقذ حياته من الهلاك أثناء تعرضه لحادث مميت على متن الشّاحنة التي كانت تنقله مع رفاقه حيث كاد أن يفقد فيها ساقه، ولقد حدث هذا خلال مدة أسره في معسكر سيدي يحي، ويقول الأب في هذا الخصوص: "إلى يومنا هذا، لا تزال صور الحادث الأليم مضبّبة، ولا أتذكّر إلا وأنا أنقل من مستشفى إلى آخر، لتنتهي بي الرحلة الشاقة إلى مستشفى مصطفى باشا في العاصمة، حيث مكثت أربعة أشهر كاملة"[3]. ويقول أيضا: "كاد طبيب مستشفى شرشال أن يبتر ساقي لكنّه تراجع في آخر لحظة وأرسلني إلى مستشفى مارنغو حيث أبقوني ليلة ونصف يوم"[4].

---

[1]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 254.

[2]– المصدر نفسه، ص 254.

[3]– المصدر نفسه، ص 242 – 243.

[4]–المصدر نفسه، ص243.

وعلى العكس مما سبق، جاء فضاء المستشفى في الرواية في صورة المأوى المعادي والإجباري الذي فقد فيه الأب حريته لمّا وضع في غرفةٍ محروسة حيث مُثِّل لذلك بقوله: "نقلوني إلى غرفة أخرى ووضعوا لي جبسا أعلى الفخذ وأعادوني إلى غرفتي المحروسة"[1].

– ***الغرفة المحروسة:*** هي غرفة توجد داخل المستشفى تستخدم للإقامة لفترة محدّدة إلى غاية امتثال المريض للشفاء، ولا تكون محروسة غالبا إلا للضرورة، ففي روايتنا مثلا تظهر الغرفة المحروسة لأن المريض المقيم فيها إنسان سجين، فمخافة من فراره يقوم العساكر بحراسته إلى غاية الشفاء ثم يرجعونه إلى السّجن.

7. المقهى: هو ذلك المكان الذي يقصده الكثيرون بهدف التسلية والترفيه عن النّفس فهو مكان مغلق ومفتوح في آن واحد، مكان مغلق باعتباره صالة مغلقة داخل مبنى ما، ومفتوح لأنه مكان يجذب اللقاءات العامة الاجتماعية والخاصة، وقد قيل في هذا الصدد: "إنّها مفتوحة للكل، الكل يلجها. أقول على الخارج بما فيه من أشخاص. فداخلها يتجدد كمياه البحر وفي تجدده تعدد المشارب والأهواء وتتعانق اللغات والقضايا، وبالتالي، هو مكان للفرجة على الآخر"[2].

يظهر المقهى في رواية "نيران وادي عيزر" كبؤرة اجتماعية لها دلالاتها الخاصة ووقعها الخاص في نفوس قاصديها، فهو مكان محبوب ومسلّي عند الأطفال، ومكان راحة وحرية لدى الكبار، خاصة الأب الذي سلبت حريته لفترة طويلة. قال محمد ساري في هذا الخصوص: "عرفت فيما بعد أن أبي، بعد إطلاق سراحه، أجْبر على الذهاب اليومي إلى الثكنة والإمضاء في دفتر يؤكد حضوره صباحا ومساء[...] وكان المقهى المكان الوحيد، خارج البيت، الذي يسمح له بقضاء بعض وقته الفارغ[3]

أصبح المقهى المكان الحامي للرّواد، وهو أيضا المكان المألوف والمريح الذي يمدهم بالمزيد من الأمل والشّجاعة على مواجهة الحياة ومشاقها، كما يكشف المقهى أيضا عن ضياع الفرد

---

[1]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 243.

[2]– صدوق نور الدين، البداية في النص الروائي ط1، 1994، دار الحوار للنشر، سوريا ص53.

[3]–المصدر نفسه، ص286.

ومعاناته وسأمه من الحياة التي فرضت عليه، والظلم الذي يحيط به. لقد بدى المقهى في هذه الرّواية مكانا بسيطا متواضعا واقعا "خارج المحتشد، بمحاذاة الثكنة، يبعد بحوالي مئة متر عن السياج الكبير الذي يسمح لجميع السكان بالدخول والخروج"[1]. ولقد كان مقهى "سي عمر أعلوش" "عبارة عن مستودع نصف مظلم، به طاولات وكراسي ومقاعد خشبية، وفي عمقه حفرة بمدخنة، يتم فيها إعداد القهوة والشاي. توجد فيه صناديق وزجاجات الليمونادة مرتبة على طول الجدار".[2]

يركز الطفل محمد في حديثه على المقهى فيراه مكانا للاستمتاع برفقة والده، يتسلى ويستأنس بتلك الضوضاء التي يحدثها اللاعبون الرابحون وأولئك الخاسرون، ويقول في هذا الصدد: "أصبحت الضوضاء التي يحدثها اللاعبون حينما يخبطون الأحجار على الطاولة، مرفقة بتعليقات المنتصرين وغيظ الخاسرين"[3]. ويبدو أن الشيء الذي يزيد من متعة تلك الليمونادة هو ربح أصدقاء أبيه حيث يقول: "وعرفت بالتجربة أن حقي من الليمونادة محسوبة، القنينة الثانية ربما الثالثة لي وحدي وإن كانت حالات نادرة"[4].

أدرك الفتى الصغير عندما أصبح شابا وتقدم في السن السر الذي بموجبه تم منعه من الدخول إلى المقهى قائلا في هذا الخصوص: "هكذا لم أعرف حينها السبب بالضبط، وقد عرفته مع التقدم في السن حين أصبح أبي يحاورني ويعلمني أسرار الحياة، ويحدد لي الحدود بين ما هو مباح ومسموح به وبين ما هو ممنوع ويشكل خطرا على صحتي وتعليمي وتربيتي، أضحى المقهى ممنوعا عني ولسنوات طويلة"[5].

ركز السارد، في موضع آخر من الرواية، أثناء حديثه عن شبابه، وخاصة حينما كان في الثانوية الداخلية "مصطفى فروخي" بمليانة، على وصف متعته الكبيرة حين دخوله المقهى هو وأصدقائه في نهاية الأسبوع بقوله: "نجد متعة كبيرة في الجلوس حول الطاولة، في شرفة مقهى

---

[1]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص285.

[2]– المصدر نفسه، ص285.

[3]– نفسه، ص287.

[4]–نفسه، ص287–288.

[5]– نفسه، ص289.

يطلّ على واجهة البساتين الخضراء في المنحدر المؤدي إلى مدينة خميس مليانة، ونطلب كالرجال الراشدين، وحسب الموسم، إما قهوة حليب ساخن، أو قازوزة سيلكتو حمّود باردة"[1].

ارتبط المقهى في رواية "نيران وادي عيزر" كما أبرزته الفقرات السابقة، بدلالات الحماية المتعة والاستجمام والراحة الجسدية والنّفسية، ثم باعتباره مكانا ممنوعا للأطفال لانعكاسه بالسلب على تربيتهم وتحصيلهم العلمي.

8. المدرسة: من الأماكن المغلقة الأخرى التي عرّفت على أنّها: "مؤسسة اجتماعية أسّسها المجتمع لتحقيق أهدافه وغاياته، وهي مؤسسة تربوية نظامية مسؤولة عن توفير بيئة تهدف إلى تنمية شخصية المتعلم من جميع جوانبها الجسمية العقلية والنفسية والانفعالية والاجتماعية والروحية والأخلاقية على نحو متكامل. ومساعدته على الاندماج مع مجتمعه الكبير والتكيف معه بالإضافة إلى مسؤوليتها في توفير فرص الإبداع والابتكار له. تعد المدرسة الحلقة الأولى في التّعليم النظامي المقصود وحلقة وصل مهمة بين البيت والمجتمع"[2].

ورد ذكر المدرسة في الرّواية في بادئ الأمر بشكل بسيط وعابر من خلال قول الأب: "كنّا شبابا بلا أحلام كبيرة. لم ندخل المدرسة ولا نكاد نعرف من الحياة إلا الشغل من طلوع الشمس إلى غروبها"[3].

ويقارن السارد، في خضم حديثه عن المدرسة، بين نوعين منها، فلقد كان في فترة ما قبل الحرب، يقول السارد، توجد مدرسة لتعليم القرآن يُديرها الشّيخ سي موح الزواوي، لكن بعدها تم افتتاح مدرسة فرنسية في المنطقة لكن سرعان ما أغلقت أبوابها حين اندلعت حرب التحرير. ويطلق على المدرسة القرآنية اسم الزاوية أو الجامع، وكانت على هيئة كوخ يطلق عليه زاوية الولي الصّالح، بقرب أجمة تين الصبار وشجرة الخروب بأعلى التلة. كما فتحت المدرسة الفرنسية

---

[1]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 289.

[2]–عبد الحكيم يسين حجازي، وائل سليم الهياجنة، مفاهيم أساسية في التربية، دار المعتز، 2016، ص112.

[3]– المصدر نفسه، ص106.

الجديدة بمدينة شرشال[1]، ويبدو أن الغاية من فتح هذه المدارس من جهة، والسعي لإغلاق المدارس القرآنية هو طمس الهوية الجزائرية بمكوناتها الأساسية خاصة ما تعلق منها بالهوية الدينية، ثم تكوين جيل من المتمدرسين مفرنسين الشّخصية، وراسخة في أذهانهم اعتقادات غربية فاسدة لا تمت للدين والهوية الجزائرية بأي صلة.

وأما الثانوية فقد وردت في هذه الرّواية كمكان لكسب العلم والمعرفة، وهي أحد أنواع المدارس المساهمة في التطور، فبعد أن مرّ التلميذ بالمدرسة الابتدائية ينتقل للمتوسطة وصولا للثانوية، فهذه الأخيرة تعد مرحلة من مراحل التعليم لا يبلغها إلا المجتهد.

9- *المطعم:* من الأماكن المغلقة الأخرى نجد المطعم، والمطعم "مكان تقدّم فيه المأكولات والمشروبات، تم تشغيل المطاعم في بداية الأمر على جوانب طرق السفر ليتمكن المسافرون من التوقف للراحة واستعادة حيويتهم"[2]. والمطعم، زيادة على هذا "عبارة عن مكان مخصّص لتقديم وجبات الطعام أو الشراب للرّواد في أوقات معينة لقاء أجر معلوم، وقد يخصص مكان لتقديم الأطعمة الخفيفة والمشروبات طوال ساعات اليوم"[3]

لقد ظهر المطعم في الرّواية التي بين أيدينا في قول الطفل عند خروجه مع أبيه: "وبعد ذهاب ورواح بين الأزقة والسوق دخلنا إلى مطعم وجلسنا إلى الطاولة متقابلين، وجاء إلينا رجل وتبادل أبي معه بضع كلمات، غاب لحظات وعاد إلينا بصحنين مالئين أكلا وقنينتين من الليمونادة. هكذا ولأول مرة أدخل مطعما كما الرّجال، أجلس ومرفقاي على الطاولة، وبصري يسرح في أرجاء الصالة الكبيرة"[4].

---

[1]- ينظر: محمد ساري، نيران وادي عيزر، 118.

[2]-عبد العزيز عبد الله محمود، إدارة المطاعم السياحية، الأكاديميين للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1 ،2015 ص9.

[3]-أيمن سليمان مزاهرة، خدمة الأغذية والمشروبات، دار المناهج، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص13.

[4]- محمد ساري، المصدر السابق، ص 363.

10. *الضّريح:* أو المقام "مكان مقدّس يرتبط ببعض الطقوس الثقافية للمجتمع إذ أن هذه الأضرحة تكون للأولياء صالحين يقصدها الناس إيمانا منهم بقدرة الولي على التوسّط عند الله لتحقيق رغبة الزائر، وهناك من يرى بأن الولي نفسه قادر على تحقيق الدّعاء"[1].

تُولّي رواية "نيران وادي عيزر" أهمية خاصة للضريح، فجعلت منه مقرا للشفاء، تزوره الأم والأب أملا في شفاء ابنهما الرضيع من الحمى، تقول الأم: "كان علينا أن نزور ضريح الولي الصالح سيدي بويغسان الواقع في أسفل التلة المشرفة على العين حيث تقع المقبرة، إلى جانب الضريح تنصب شجرة زيتونة عتيقة، جذعها محترق مشقوق في أسفله"[2].

وتشير الرّواية إلى ضريح الولي الصالح "سيدي معمّر"، وهو المكان الذي قصدته النسوة فور وصول سكان "وادي عيزر" إلى الأرض التي استقروا فيها بعدما طردوا من أراضيهم. يقول الرّوائي في هذا الصدد :"استغلت النساء خاصة المسنات منهنّ الفرصة لزيارة الضريح للتبرّك والدعاء لتسهيل إقامتهن في هذه الأرض الغريبة التي يحميها ويبعد عنها الشر"[3]. ويصف الروائي الضريح قائلا: "عند حافة الغابة جنوبا يقع ضريح الولي الصالح سيدي معمّر ببناية منخفضة بيضاء اللّون وعلى سقفها قبة مزينة بهلال لونه أخضر، وخلف الضريح تمتدّ مقبرة صغيرة تتناثر قبورها نحو الأعلى وسط أشجار الصنوبر"[4].

ويرتبط الضريح من زاوية أخرى بدلالة الخوف ومعتقد اللّعنة، فقد نسج أهل القرية في مقطع سردي أنّ سبب غرق ابنهم في البحر يعود إلى تلك اللعنة التي اطلقها ضدّهم جدهم الأوّل فيقول السارد على لسان الأم: "قررت العائلة مغادرة حوش موجو والعودة إلى أراضيها في أعالي تلال بلّعزم، معتبرة أنّ ذلك الغرق، حسب حكاية أمي وهي تعلّق على الحدث، عقاب ربّاني، لعنة أطلقها جدهم الأول، الولي الصالح سيدي اَمحند أقلوش الذي أسّس الزاوية التي تحمل اسمه وتخلّد

---

[1]– ينظر: جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، أطروحة دكتورة، إشراف: صالح مفقودة، قسم الأدب واللغة العربية، جامعة بسكرة، 2012–2013، ص 150.

[2]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص74.

[3]– المصدر نفسه، ص181.

[4]– نفسه، ص179.

ذكراه الطيبة، لأنّهم أهملوا أرضه التي غذّتهم لقرون والعناية بضريحه الذي وفّر لهم الأمن وأبعد عنهم المصائب"[1].

واضح من النصوص السابقة أنّ المكان يمكن أن يكتسي أهمية بالغة في المخيّلة الشعبية، باعتبار أن دلالة الضّريح ترتبط ارتباطا وثيق بالمقدس والمبجل، فهو المكان الذي يتردّد إليه الناس أملاً في الشفاء أو حل المشاكل أو طلب الولد والرزق والبركة.

11. الحانوت: مكان مغلق خاص، وهو عبارة عن محلّ أو متجر صغير لبيع مختلف البضائع، يقام على الطريق غالبا، وتختلف الحوانيت حسب البضاعة التي تبيعها، ويعرّف أيضا باسم البقالة أو الدّكان.

يحمل الحانوت في رواية "نيران وادي عيزر" دلالة المكان الذي تودع فيه الأمانات وتخزّن فيه الأسرار، فالحانوت هو المكان الذي يترك فيه الأب قفّة المواد الغذائية التي يجب عليه أنْ يوصلها إلى مركز المجاهدين قبل شروق الشمس. فيقول الأب بهذا الصدد أنه على الرغم من بساطة الحانوت إلا أنّه ساهم كثيرا في مساعدته على إكمال مهمته، ويصف حانوت "العم شريفي" قائلا: "يقع حانوته في كوخٍ واطئ السّقف، على وشك الانهيار، غير بعيد عن الثكنة، ولكنّه منزوٍ قليلا، وبه فتحة خلفية تشرف على منحدر مشجّر يؤدي إلى وادي بويازيضن الذي يفصل بين بن يامنة والثكنة"[2].

ويضيف الأب في الصدد نفسه قائلا: "اكتشفت ممرا سريا تحت سياج الأسلاك الشائكة والذي يسمح لي بمغادرة المحتشد دون أن ينتبه إليّ عساكر الحراسة، ألتحق بوادي بويازيضن ثم أصعد عبر درب إلى الحانوت من جانب الكوة الصغيرة، لأجد قفتي تنتظروني، أمسكها بيد واثقة وأختفي وسط الأحراش"[3].

---

[1]–محمد ساري، نيران وادي عيزر ص292 –293.

[2]– المصدر نفسه، ص220.

[3]– نفسه، ص312.

إنّه من البيّن مما سبق عرضه أنّ الحانوت في الرواية قد انزاحت دلالته من العادي والمتفق عليه والمتمثل في فضاء البيع والشراء، إلى الدلالة على ذلك الفضاء المخصص لحفظ الأمانات والمساهمة في أداء خدمات جليلة لصالح الوطن وتحريره من قبضة المستعمر.

لم يكتف الكاتب بذكر هذه الأماكن المغلقة فقط في روايته، بل أدرج العديد من الأماكن، لكن لم يفصّل فيها كما فصّل في الأماكن السابق ذكرها، وسنكتفي، من أجل هذا، بذكرها كما وردت في الرواية ومن ضمنها نجد: السينما، المسجد، الشركة، البلدية والدرك، الفندق، البنايات الكبيرة، المصنع، الشركة الوطنية للحديد والصلب، مقرّ الشرطة.

ثانيا: *الأماكن المفتوحة:*

بعد حديثنا عن الأماكن المغلقة، سنتحدث فيما يلي عن الأماكن المفتوحة وسنبدأ بأهم مكان في الرواية ألا وهو وادي عيزر.

1. الوادي: الوادي في رواية "نيران وادي عيزر" هو ذلك المكان الطبيعي الذي يتّسم بالهدوء أحيانا، وبالهيجان أحيانا أخرى خاصة في الشتاء، وسُرد لنا أن هذا المكان وقعت فيه العديد من الأحداث المأساوية والمؤلمة حينا والسّارة حينا آخر، فهو يرد على هيئات عديدة منها المكان المرعب، الخلاب، الساقي، الخافي، المساعد، المأساوي، والمرح، يترك في كل نفس مرت عليه شعورا يكون سلبيا تارة وإيجابيا تارة أخرى، فهو عند الأم مثلا ذلك المكان الذي يترك فيها شعور الرّعب، ويتضح هذا حين قالت واصفة عبور الوادي: "إنه أرعب عبور لوادي عيزر عشته في حياتي"[1].

و"وادي عيزر" عند الطفل هو ذلك المكان الذي يروي عطشهم، فقال الطفل محمد في أحد المقاطع :"في الوادي، شربت حتى ارتويت من ماء العين الفوارة، العين نفسها التي كان أبي يسقي منها وهو صغير"[2].

---

[1]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص11.

[2]–المصدر نفسه، ص18.

يستفيد الناس في ريف عيزر من ماء الوادي، وذلك بسقي النباتات الصالحة للأكل، وقد ورد هذا في المقطع السردي الموالي: "تمتلئ الحقول وضفتا الوادي بالنباتات الصالحة للأكل"[1]. كما يستفيد أيضا منه المجاهدون بالمرور عبره وهم يقصدون الغابة أو يدخلون للقرية للتفاهم مع الملتحقين بهم، ويعدّ هذا الفضاء، بعبارة أخرى، همزة وصل بين المجاهدين والسّكان، يقول الراوي واصفا حال: "رحّب بهم وأسرّ لهم بأنه رآهم حينما خرجوا من الغابة وقصدوا الوادي"[2].

نلاحظ من خلال ما سبق ذكره أنّ وادي عيزر مكان له دلالات عديدة، فقد دلّنا كيف يمكن أن يكون للإنسان ذكريات، وهو المكان الحقيقي الطبيعي بامتياز، ولقد وجدنا فيه كلّ أنواع الطاقة، وعشنا عبر تفاصيله حكايات ووقائع شخصية للمجاهد، للمستعمر، للطفل، للأم، والأب وغيرهم ممن سكنوا في أرجائه.

2. الساقية والعين والبِركة:

-**الساقية:** هي مورد مائي دائم الجريان وجد بفضل الطبيعة يقصده النّاس للسقي منه. عرّفت في روايتنا على أنّها "مجرى ماء لسقي أراضي زراعية، يمتدّ طولها إلى حوالي ثلاثين كيلومترا، تنطلق من جبال مَناصَر (مارصو سابقا) وتمتدّ إلى غاية سيدي غيلاس (نوفي سابقا)، مرورا بسيدي اعْمر (زوريخ سابقا) وشرشال. تمرّ على سفح الروابي، على علوٍّ يسمح للمياه بالسيل دون قوة كهربائية إلى الأسفل حيث السهل وأراضي المعمرين الخصبة. يقال إن بناءَها يعود إلى عهد يوبا الثاني والقيصرية (شرشال) عاصمة مملكة موريتانيا في بداية القرن الأول الميلادي، وأنّ المعمرين الفرنسيين رمّموها وأصلحوها بمجرّد استقرارهم"[3].

لقد كانت الساقية المكان الذي يقضي به الابن أوقاتا مسلية رفقة أصدقائه، والمنبع الذي يمدّهم ويكمل حاجتهم المنزلية. ففي المثال الآتي يشير السارد إلى المكان الثاني الذي سجلته

---

[1]- محمد ساري، نيران وادي عيزر ، ص71.

[2]- المصدر نفسه ، ص 135.

[3]- نفسه، ص 197.

ذاكرته فيقول:" أمّا المكان الثاني الفاتن الذي تعودنا أن نقضي به أوقاتا مسلّية وهو الساقية التي تمر طول شمال المعسكر، نجهل منبعها ومصبّها، ولم نتمكن يوما من الوصول إليهما"[1].

يتذكّر الطفل أيضا الخطر الذي يترصد دائما بالأطفال خلال أخذهم الماء، حيث يقول السارد:" فبقدر ما كانت هذه الساقية ملاذا قريبا، حيث يمكن أن نرسل في أي وقت من أوقات النهار لإسعاف الأمهات في إتمام الأشغال المنزلية التي تستلزم المياه، وبين الخطورة التي تترصدنا دوما، خاصة بعد تلك الظهيرة التي غرقت فيها الطفلة الصغيرة مليكة، ذات الست سنوات"[2].

كما يسترجع السارد أيضا صورة السّاقية التي رسمتها عمّته خديجة؛ صورة امتزجت فيها صورة الساقية مع صورة الغولة لكي يخاف الأطفال ويأخذوا حذرهم فيقول في هذا الموضوع: "منذ ذلك الوقت تداخلت صورة الساقية مع صورة الغولة آكلة الأطفال تلك التي كانت عمّة أمي خديجة تحكيها لنا"[3].

رغم كل الحوادث الخطيرة التي تترصد الأطفال، إلاّ أنّ الساقية تبقى لدى السآرد عنوانا للتسلية والمرح والفرح، ويظهر ذلك في المشهد السردي التالي "ما كان يجذبنا إلى السّاقية ليس سقي الماء إنّما الألعاب والتسليات التي توفرها لنا"[4].

-**العين:** يصف محمد ساري عين "توشنة" في المقطع التالي فيقول عنها "أما عين توشنة، فهي أنبوب صغير، يتدفّق وسط حوض من الأحجار والتراب، ويسيل الماء بكمية ضئيلة، تجبر المرء على انتظار وقت طويل كي يمتلئ دلوه، ما يزيد في سرعة الانفعالات وردود الفعل العصبية"[5].

---

[1]-محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 289- 290.

[2]- المصدر نفسه، ص 290.

[3]- نفسه، ص 290.

[4]- نفسه، 291.

[5]- نفسه، 296.

ويشير ساري أيضا إلى أنّ المكان ليس بالمسلي كغيره من الأماكن التي تسلى فيها في مرحلة طفولته، حيث يقول "في المقابل ليس جلب الماء الشروب من عين توشنة بالأمر المسلي[1].

لم يتوقف كلام السارد عند هذا الحد فقط من وصفه للأماكن، وخاصة هذه الموارد المائية التي لم تكن مجرّد أماكن للسقي والارتواء، بل تجاوز ذلك في حديثه إلى عين أخرى، هي عين "تيتاموسي" التي تركها عند ترحيلهم من مسقط رأسه وادي عيز، والتي قال عنها مقارنا بينها وبين عين توشنة "في واقع الحال، حينما نتكلّم عن عين توشنة، لا نقارنها بعين تيتاموسي المتدفّقة مياهها بكمية زاخرة، يمتلئ الدلو في ثوان، وهي لا تتوقّف، وتبقى مياهها تسيل في الحوض لتروي بستان أشجار الرمان والفواكه الكثيرة الأخرى، إلى جانب الخضر التي تزرع وسطها على طول السنة"[2].

تظهر عين تيتاموسي من خلال هذا المقطع على أنها ذلك المورد الحيوي الذي استفاد منه الإنسان والزرع والحيوان، ليس هذا فحسب، بل إن عين تيتاموسي وبِرْكتها، حسب حكاية الأم لابنها محمد، هو المكان الشافي له، ولقد أفرد لها السارد عنوانا وجزاء من روايته ليسرد لنا تفاصيل تلك الطقوس التي أقامتها الأم من أجل إنقاذ حياة طفلها حيث تقول: "خلال الأشهر التي تلت ولادتك، لم تكن تتمتع بصحة جيدة. وكانت الحمّى تحرق جسدك لليال كاملة. نصحتني عمّتي خديجة التي زارتني وأنت على تلك الحالة بغطسك في بركة عين تيتاموسي [...]إذن، ذات ليلة دافئة، وعملا بنصيحة عمتي خديجة الكفيفة، انتظرنا، أبوك وأنا، أن يخيّم الظلام كلية وتنطفئ جميع الأضواء ويلتحق الناس بمضاجعهم، لننطلق في رحلتنا إلى العين المباركة [...] وبدأت عملية الغطس، ابتداء من القدمين، ثم الساقين، وبعد ذلك أخذت حفنة ماء وصببتها على ظهرك وبطنك وصدرك قبل أن أغطسك داخل البركة وإلى غاية الرقبة"[3].

---

[1]- محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 295.

[2]-المصدر نفسه، ص 295- 296.

[3]- نفسه، ص 72- 73.

وأشار محمد ساري إلى بركة أخرى هي بركة العروس "ثامدة نتسليث" ووصفها بأنها بركة واسعة وعميقة بلا قاع، تقع عند زاوية وادي عيزر ومياهها لا تنضب طوال السنة حتى في الفصول الأكثر جفافا[1]. ويحمل فضاء بركة العروس دلالة روحانية، باعتباره مكانا مسكونا بكائنات غير مرئية كما يقول السارد في هذا المقطع الذي يسرد لنا فيه تفاصيل سبب تسمية هذه البركة ببركة العروس، فحسب حكاية الجدة "يقال إنّ هذا الوادي كان نهرا ممتلئا بالماء على طول السنة والبركة واسعة عميقة بلا قاع. توقف موكب زفاف مثلما يحدث دائما ليستريح النّاس ويروون عطشهم من الماء الزّلال المنعش. لكنّ العروس المسترخية على فرسها رفضت النزول خوفا من اتساخ فستانها، وحرّمت البهيمة المسكينة من الشرب [...] عندئذ، انتفضت الفرس وبهزة عنيفة اتجهت نحو البركة بنيّة الشرب، ولكن الاندفاع رماها مباشرة وسط البركة والعروس على ظهرها. البركة عميقة ولا أحد من الرجال استطاع إنقاذ العروس ولا البهيمة. ابتلعتها البركة في لحظات خاطفة"[2]. ومنذ تلك اللحظة أصبح الناس يقولون أنّ ما حدث لها يومها كان عقابا ربّانيا. يقول السارد في الموضوع "يحكي شيوخنا أنّ الغرق عقاب إلهي للعروس الأنانية التي منعت الفرس من الشرب، لأن الإنسان ليس من حقّه تعذيب الحيوان ولا منعه من الأكل والشرب. عندنا في هذه الجبال، للماء قدسية خاصة. إنّ العين ملكية مشاعة دوما. لا يحق لصاحب عين أنْ يحجزها لنفسه ويمنع الناس من الانتفاع من مياهها [...] ومنذ تلك الحادثة المأساوية أصبحت هذه البركة تسمى ببركة العروس"[3].

من خلال هذه المقاطع السردية تنكشف مختلف الدلالات التي تحملها هذه البركة، والتي منها دلالة تقديس الماء، والخوف من عصيان تلك المعتقدات التي نشأ عليها الأولون.

---

[1]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 55.

[2]–المصدر نفسه، ص 56.

[3]–نفسه، ص56.

3. الساحة والبطحاء:

الساحة: تعدّ الساحة من الأماكن العامة التي تتواجد في المدن وأحيانا في القرى وكثيرا ما يكون في ميدانها نصب تذكاري.

أما البطحاء فهي مكان أقلّ من الساحة اتساعا ويتواجد كثيرا في القرى. ووردت البطحاء في الرواية باعتبارها مكان تجمع السكان في وعدة "تيتاموسي" مثلا، ويظهر هذا من خلال المشهد السردي على لسان الأب الذي قال" "كان يوما مشهودا عاشته بطحاء تيتاموسي، جاءها ناس من كل السهول والتلال والفجاج المجاورة "[1].

كما نجد أيضا ذكر البطحاء في المقطع الذي يصف أحداث اليوم الذي استقلّت فيه الجزائر حيث يقول السارد: "إنّ كلمتي ((الجزائر والاستقلال)) مرتبطة عندي بتلك الجولات التي كان الرّجال والفتيان والأطفال يقومون بها في جوّ صاخب مبهج، وتنتهي دوما بتجمعات في البطحاء، تحت ظلّ الكاليبتوس"[2]. وبعد الاستقلال أصبحت البطحاء ساحة يجتمع فيها أهل القرية يوميا ويظهر هذا في الرواية حين قال السارد: "ركضت برفقة صديقي اعمر قاصدين البطحاء التي تحولت إلى ساحة تجمعات دائمة"[3]. ويعود السارد إلى ذكر هذا الفضاء في مقطع آخر، وهذا خلال زيارته الأولى لمدينة شرشال فيقول "عدنا إلى الساحة التي تهت في متاهتها التي بدت لي دغلا مخيفا فوقف أبي عند الرصيف، حطّ يده على رأسي، وجّه بصري إلى الأشجار وطفق يشرح ويشير بذراعه: أَزر مليح أمحنديو... افتح عينيك وأذنيك جيدا. أمامك ساحة المدينة العمومية التي تسمى ((أسجور))"[4].

---

[1]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 116.

[2]–المصدر نفسه، ص339.

[3]–نفسه، ص 341.

[4]–نفسه، 364.

4. الفناء أو الحوش: هو فضاء مفتوح على السماء محاط بكتل بنائية ويتوسط موقعه المبنى في الغالب، وتطل عليه أغلبية نوافذ الحجرات. كما يمكن أن يكون الفناء خلف المنزل أو بجانبه فيختلف تموقعه من منزل إلى آخر[1].

في رواية نيران وادي عيزر يصور محمد ساري الأفنية والأحواش على أنها المكان الذي تقضي معظم العائلات وقتها فيه خاصة النساء، كما أنه يعد ضمن الأماكن المسلية التي قضى فيها طفولته فيقول: "ولأفنية البيوت مُتعُها أيضا"[2]، كما اعتبرها السارد أيضا المكان الذي يستمتع فيه الأولاد بالأرغفة الساخنة التي تحضرها الأمهات. فهي بالنسبة للأطفال حاملة لمعنى الانتقال من عالم إلى آخر، من عالم النساء المليء بالأسرار إلى عالم الرجال وما يحدث خارج عتبات البيت، وهي مغامرة أخرى يعيشها الأطفال ويتعلمون منها وذلك ظاهر في قول السارد "عالم النساء أيضا عالم المُسرّات في أوقات الظهيرة، حيث يجتمعن في الأفنية المُشمسة ليتبادلن حكاياتهن الشخصية، الحميمية، والتعليق على أحداث الراهن. كنّا، كأطفال، على علم بأشياء كثيرة، حتى وإن لا نمسك بالمعاني الدقيقة لما يقال حولنا، وبالأخص تلك الحكايات الثنائية الهامسة"[3].

5. السوق: مكان يجتمع فيه أهل البلاد أو القرى في أوقات معينة، يتبايعون ويتبادلون، ومن هذه الأسواق ما ينعقد كل أسبوع، ومنها ما ينعقد مرة في الشهر أو في السنة[4]. ويعدّ السوق ذلك المكان التجاري العام يضمّ جميع الناس ويشمل كلّ الفئات، وهو فضاء مخصص للبيع والشراء لمختلف السلع يقصده النّاس من كل نواحي الوطن.

---

[1]–ينظر: مايسة عثمان خضر، "أهمية الفناء الداخلي في تكوين البناء السكني في منطقة شمال السودان،" المجلة العربية للنشر العلمي، ع 11، 2020، ص 156.

[2]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 299.

[3]– المصدر نفسه، ص 302.

[4]– ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار القلم، لبنان، بيروت، ص 198.

يظهر هذا المكان في الرواية من خلال حوار دار بين الأب والعساكر الفرنسيين لحظة توقيفه وهو في الطريق إلى العمل قائلا: "طبعا أنكرت كل معرفتي بما يطلبونه مكررا أنّني عامل بسيط وليست عندي مشاكل مع فرنسا. قال قائدهم عد إلى دارك... لا شغل اليوم ولا سوق"[1].

كما يظهر أيضا في قول الأب خلال توجيه ابنه وتعريفه على ما يحيط به من أماكن في مدينة شرشال خلال زيارته لها "على يسارك وسط المدينة والسّوق"[2].

والسوق باعتبار ما سبق، مكان يتواجد في المدن وكذا في الأرياف يستفيد منه كلّ العابرين صغارا كانوا أو كبارا.

6. المقبرة: هو المكان الأبدي للناس عند مفارقتهم للحياة فترابها يحوي جثث أناس كنا نعيش معهم في الحياة دون خوف، فهناك يتحدد مصير الفرد حسب ما قدّم من عمل، فالكثير منّا يجهل هذه الحقيقة متناسيا أنّه يدفن تحت التراب يوما، فالمقبرة هي بيت الغني والفقير على السواء[3].

يظهر فضاء المقبرة في روايتنا في أكثر من مقطع سردي، ويحاول السارد في كل مرة يذكره أن يركز على فكرة أن يكون للإنسان قبرا معلوما ليزوره أهله، وهو من ضمن حقوق الميت الطبيعية. وتبرز هذه الفكرة مثلا في مقطع سردي يصور معاناة الأم وهي تعيش آلام مفارقة رضيعها الحياة وهو مربوط على ظهرها، حيث أحسّت الأم أن ابنها قد تلفّظ أنفاسه الأخيرة، فقررت عدم الإفصاح بذلك خوفا من أن يدفن وسط تلك الأحراش. يقول الرّوائي "لكن الفكرة التي أرعبتها لحظة إدراكها حالة ابنها الجديدة، أرغمتها على الصمت وحثتها على مواصلة السير خوفا من أن يبادر الجد إلى التوقف واتخاذ قرار دفن جثة ابنها، إن تأكدت وفاته فعلا وسط تلك الأحراش"[4].

---

[1]–محمد ساري، المصدر السابق، ص 204.

[2]–المصدر نفسه، ص 364.

[3]–صبرين حريز عبد القادر، وفاء ناصري، دلالة المكان والزمان في رواية "باب البيت" لعبد القادر مهداوي، مذكرة ماستر، إشراف العلمي مسعودي، قسم اللغة والأدب العربي حمة لخضر، الوادي، 2018، 20119، ص44.

[4]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 177.

يتضح الأمر أكثر في مقطع سردي آخر، يصف فيه السارد اشتباك المجاهدين العائدين من جبل شَنْوَة والعساكر الفرنسين، حيث بقيت جثث الشهداء مبعثرة في كلّ مكان، فقرر رجال المنطقة جمع الجثث ودفنها في المقبرة. يقول الأب واصفا: "بحثنا طويلا في السواقي المجاورة لعلّنا نعثر على ضحية أخرى. بعد ذلك، استعنّا بالحمار وأوصلنا الجثث إلى المقبرة في أعلى الربوة لدفنها"[1].

وتحضر في روايتنا "مقبرة الشهداء" المقبرة التي يدفن فيها الشهداء الأبرار الذين حاربوا في سبيل تحرير الوطن، ويظهر هذا المكان في قول الأب :"بعد سنوات اكتشف السكان في مكان غير بعيد عن المعسكر بئرا مهجورة بها بقايا رفات بشرية، فتأكّد الجميع من أنها لمساجين قتلوا في ذلك المعسكر، انتشلت الرفات من عمق البئر وأعيد دفنها في مقبرة للشهداء في عين المكان لتكون شاهدة على جرائم فرنسا البشعة في بلادنا"[2].

وفي مقطع آخر يقول السارد :"بعد سنوات من انتهاء الحرب، حينما بادرت منظمة المجاهدين إلى إحصاء عدد الشهداء وتخصيص مقابر جماعية خاصة بهم لإعلاء شأنهم وتخليد ذكراهم، بدأت الألسنة تتحرر، وقدّم الناس أخبارا عن قبور هنا وهناك، فردية وجماعية، فتمّ جمع رفاتهم وإعادة دفنها في ما أصبح يسمى بـ "بمقابر الشهداء"[3].

7 .الغابة: إنّ فضاء الغابة فضاء مختلف التضاريس من جبال وسهول وهضاب، يتميز بالأشجار الكثيفة والتنوّع الحيواني، وهي رمز للهواء الطلق الذي يبعث في النّفوس الرّاحة والطمأنينة، ويملك أماكن مخيفة تبعث في النفوس الرعب والشعور بالقشعريرة.

للغابة حضور قوي في رواية "نيران وادي عيزر" لأنها ذلك المكان الذي يبعث في نفوس المجاهدين خاصة، وسكان القرى المجاورة لها عامة تلك الطمأنينة والشعور بالأمن والأمان، فهي المفرّ والملجأ الوحيد الذي يستعين به المجاهدون. ولقد اختار المجاهدون فضاء الغابة نظرا لتلك

---

[1]–المصدر نفسه، ص 141.

[2]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 233.

[3]–نفسه، ص 214.

المخابئ التي يحتويها، فهي جدّ مليئة بالأشجار والمغارات، مما سهّل لهم الاختباء والاحتماء فيها والاستقرار فيها لغاية نهاية الحرب واستقلال الجزائر.

بعد تهجير السكان من أرضهم، أخذ المجاهدون في تكوين مراكز لهم، وذلك ظاهرٌ خلال قول الأب "يقع مركز القيادة في سفح مشجر بأعلى التلّة ومنه نستطيع رؤية تحركات العساكر أسفل الوهاد والسبل المؤدية إلى عمق الغابة في تيزي فرانكو، حيث القيادة العليا"[1].

وللغابة دلالة أخرى عند المستعمر، فهي المكان الذي يتم فيه محاصرة المجاهدين وتجويعهم لتسهيل عملية استسلامهم والقبض عليهم، وهذا واردٌ في المقطع السردي الذي قال فيه الروائي :"لم نكن الوحيدين، بل حدث قبل أسابيع أنْ رحلوا سكان مداشر أخرى غير بعيدة عنّا، لإخلاء المنطقة كلّها من السكان وعزل المجاهدين وحصرهم في أماكن غابية مقفرة وتجويعهم وقطع كل مساعدة يقدّمها السكان لهم"[2].

يعد فضاء الغابة إذن أفضل مكان للاختباء لدى المجاهدين وفضاء احتواهم إلى أن نالوا الحرية، وأما الفرنسيون فكانوا يرونه عكس ذلك، فهو عندهم مصدر خطر واقف بجنب المجاهدين في نضالهم وثورتهم.

8. الجبال: يعتبر الجبل ذلك المكان الطبيعي، يتميز بالاتساع والارتفاع من الأرض يتواجد في الغابات، ويدلّ على العظمة والشموخ، هو مكان جميل وموحش في الوقت نفسه، وقد أضحى في فترة الاستعمار مقرّا للمجاهدين ومخبأهم السري المتميز بالصخور والأحجار والأعشاب والحيوانات وهو عبارة عن مكان خلاء.

تعتبر الجبال بالنسبة للمجاهدين في روايتنا، ومن خلال قلم الكاتب وما روي من أحداث ووقائع، أنّها المخبأ والموطن الآمن لهم، يسيّرون فيه خططهم وأعمالهم بكل سرّية واحترافية للدفاع عن أرضهم ونيل الحرية كاملة. وتجسّد فضاء الجبل خلال قول الأب: "مع

---

[1]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 146.

[2]–المصدر نفسه، ص 13.

أولى تباشير فجر يوم الغد، خرجنا من محتشد ريفاي باتّجاه مارنغو، وتركتك مع أمّك وأخيك الصغير[...] وشدّدت الرحال إلى أعالي جبال عيزَر وزيوا حيث مركز قيادة جيش التحرير"[1].

اعتبر الجبل كذلك مركز انطلاق الثورة واندلاعها، وفيه كانت الشعلة الأولى للثورة التحريرية ومركز الأسرة الثورية، ويتبيّن ذلك في قول الأب: "كان الإخوة يتابعون تطوّر الأخبار عن كثب، وعلى دراية بالمستجدّات. صحيح أنهم متخندقون في مراكزهم الجبلية، في زيوا وهَدْروق والبيك وأعالي مارْصو وسيدي سميان، وأبعد من ذلك وإلى غاية جبال قوراية والداموس وبني حَوّة، وآذانهم صاغية إلى ما تجدّ به الإذاعات وما ينقله لهم قادة النّاحية عند زياراتهم"[2].

9. الأحراش: هو مكان أشجاره متوسطة ومتباعدة محدودة المساحة يتواجد في أماكن رطبة وجافة. أقلّ اِرتفاعا وكثافة من الغابة.

جاءت الأحراش في الرّواية على أنّها المكان والمعبر الذي يمر عبره المجاهدون والملتحقون بالجبال للسعّي وراء الحرّية، ومُثّل لذلك في قول الأم: "أمّا الناجون منهم، فلا أحد يدري كم عددهم لأنهم تسلّلوا عبر الأحراش والتحقوا بعمق الجبال وأعاليها حيث يصعب لعساكر فرنسا ملاحقتهم"[3]. وفي قولها أيضا: "سنضطرّ إلى الهبوط إلى غاية مجرى الوادي ثمّ الصعود إلى الرّبوة المقابلة، عبر دروب متعرّجة وسط الحقول والأحراش"[4].

10.الأشجار: هي نوع من أنواع النبات ينمو عموما في اليابسة، ترتبط بالأرض والطبيعة، ويلجأ إليها المرء لقطف الثمار، ويستظل تحت ظلّها قصد الاسترخاء، وذكرت الأشجار كثيرا في روايتنا باعتبارها مكانا يقصده المجاهدون للاختباء من العساكر الفرنسيين والحركى، وذكرت الأشجار عدّة مرات في الرواية في الكثير من المقاطع أفضل مثال شجرة

---

[1]–محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 310.

[2]–المصدر نفسه، ص 317.

[3]- نفسه، ص 12.

[4]- نفسه، ص 46-47.

البلوط التي عرّفها الراوي قائلا: "ترتفع شجرة بلوط مئوية، عملاقة، تشكّل أغصانها المورقة الوارفة ركنا مظللا منعشا يعيد الروح للصاعد اللاهث الذي يتوقف عندها ليستردّ أنفاسه"[1]، يتشكّل من شجرة البلوط شرفة مظللة . يقول السارد في هذا الصدد "تشكل مقعدا في هذه الشرفة المظللة دوما والتي تسمح للجالس بالتمتّع بمناظر خلابة تنسيه تعب المشي ووعورة المسلك الموصل إليها"[2].

وذكرت هذه الشجرة على لسان الأب في قوله: "أسرعت بجرّ الحمار إلى حوش الدار وأنزلت الحمولة لأرجع إلى قرب والدي والمجاهدين لمعرفة ما يقال، وجدتهم جالسين تحت شجرة البلوط المظللة بأغصانها الوارفة"[3].

لقد كان لشجرة البلوط وقعها الجميل في ذكريات محمد ساري، كما أنها تركت أثرا جميلا لدى المجاهدين لأن تحتها يتشكلّ مكان كلّه راحة وطمأنينة، وفيه يقل توتر المجاهدين وينسون التعب، وفيه يتم التواصل مع أهل القرية وسكانها.

وكثيرا ما وردت المصطلحات التالية في رواية نيران وادي عيزر الحقول، البساتين، المزارع، الطرق، الدروب، أجمات النخيل، السهول، الهضاب، والتلال، والتي تعني الخلاء وهو عبارة عن ذلك المكان الطبيعي الذي شخّص على أنه ذلك الفراغ داخل العالم، فكما قيل في جماليات المكان في الرواية العربية لشاكر النابلسي إنّه "يمكن أن يكون هذا البعد خاليا تارة ومملوء تارة"[4].

11. الحقول، البساتين والمزارع: هي تلك الأماكن المحببة إلى النّفوس خاصة الأطفال، تربطهم بها ذكريات المرح واللّعب الصبياني، وهي أيضا الأماكن التي يخدمها الإنسان لينال لقمة عيشه بعد الكدّ والجهد، هي أماكن الطفولة الجميلة التي قمنا بسرقة

---

[1]-محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 18.

[2]- المصدرنفسه، ص 18.

[3]-نفسه، ص 135.

[4]- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرّواية العربية، ص 271.

ثمارها ونحن أطفال بدافع الطمع بالنّسبة لنا، أمّا بالنسبة للكبار فهو ذلك المكان الذي يحرثه ويزرعه ويشقى فيه ليأكل وتأكل عائلته.

12. الطرق، الدروب والشوارع: تطلق هذه المصطلحات على تلك المعابر والمسالك التي نسلكها ونجدها في القرى والمدن، فمثلا الطريق يطلق على كلّ الطرق والمعابر التي تتواجد في الريف، وقيل في هذا الخصوص: "للطريق في الرّواية العربية وفي الجغرافيا العربية أيضا موقعان: الموقع الأول أنّها تأتي بالنّسبة للمدينة خارج محيط المدينة، حيث اتفق على أن كافة الطرق داخل المدينة تسمى شوارع. والموقع الثاني في داخل وخارج البلدة الصغيرة والقرية حيث يطلق على كلّ مسلك طريق. ولو تتبعنا تاريخ كلمة ((شارع)) لوجدناه قريبا، وليس بعيدا. ففي التراث العربي المكاني، لا يوجد مسلك يسمى شارع"[1].

أما عن الدرب فهو ذلك المسار الذي نسلكه في الريف يأتي غالبا أضيق من الطريق، لقد ذكر الدرب عدة مرات بأسماء مختلفة وهي الدروب الصاعدة، الدروب الحمرية، الضيقة ودروب السيارات.

لقد جاءت هذه المفاهيم في روايتنا الحاملة لنفس المعنى عدّة مرّات نظرا لأهميتها ودورها الكبير، فعبرها ومن خلالها تنتقل الشخصيات لكلّ الأماكن التي ذكرناها وسنذكرها لاحقا. يقول السارد واصفا تفاصيل التهجير: "يُزاح الستار فتنكشف أمام أعيننا المذهولة قافلة من الرجال والنساء والأطفال والبهائم، تتدحرج بوتيرة سريعة تحت سماء مُمطرة، عبر دروب وَعْرَة، متعرّجة"[2]. وأشير أيضا في نفس هذا المقطع لوصف ما يؤول إليه الطريق بعد الأمطار الغزيرة بالقول: "تنغَرز الأرجل والأقدام في التراب الطّيني المُبلّل وتُعطّل السَير. أثناء الترحال القَسرّي ، تفاجأ المُهَجَّرون بسقوط أمطار غزيرة ممّا ضخَّم منسوب مياه الوادي وصعّب عبوره للالتحاق بالضفة الأخرى الطريق الصالح للسيارات والمؤدّي إلى السهل

[1]-شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرّواية العربية ،ص 61.

[2]-محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 7.

والتجمعات السكنية الكبرى"[1]. لقد أشار هنا إلى أحد أنواع الطرق ألا وهو الطريق الصالح للسيارات.

إنّ الدروب في هذه الرواية أيضا عبارة عن تلك المسالك التي يسلكها المجاهدون خفيةً، وكذا مساعدو المجاهدين عند أخذ المؤونة والأخبار للمجاهدين بعيدا عن أنظار العساكر.

13. السهول، الهضاب والتلال: ذكرت هذه الأماكن الجغرافية في الرّواية في العديد من المرّات.

-**السهول:** يطلق هذا المصطلح على تلك الأراضي المستوية السطح، القليلة التضاريس.

-**الهضاب:** تختلف عن الجبال باستواء سطحها مع ارتفاع، وبعمق أوديتها وقد تقوم فوق الهضاب جبال[2].

-**التلة أو الرابية، الربوة:** هي تلك الأراضي المرتفعة تنخفض على جبال يشبه في الشكل الهرم، مقبب الشكل.

14. البحر: عرّف من قبل الجغرافيين على أنّه مكان ذو امتداد واتساع وهو مجموع فضاءات الماء المالح. يعدّ هذا الفضاء أحد الأماكن التي يرفّه فيها الإنسان عن نفسه.

يعتبر البحر ذلك العالم والجسر الذي يودي بنا للرفاهية والترويح عن النّفس، فهو مكان يلجأ إليه الإنسان غالبا للنزهة باعتباره مكان مفتوح لأي شخص في كل وقت وحين، يستخدمه البعض الآخر كأداة أو كمهرب من الحياة بحيث ينهون حياتهم فيه فبالرغم من كونه ذو ايجابيات يجعل الفرد في قمة الاسترخاء، إلاّ أنّه مكان سلبي يمكن لأي شخص

[1]- محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 7.

[2]- محمد سعيد النعناعي، كوكبنا النابض بالحياة، وكالة الصحافة العربية، ط1، 2020، ص98.

بإرادته أو من غير ارادته أن يفقد حياته، فبقدر جماله وهدوئه نجده أيضا حافلا بالمخاطر والصعوبات.

ذكر البحر في روايتنا بشكلين مختلفين، ذكر في المرة الأولى على أنه آخذ للأرواح بطبيعته، فهو مكان ظاهره رائع وجميل وداخله عالم عميق مخيف، وورد البحر في الرواية حين قال السارد:" البحر. وهناك كنت طفلا كبيرا، وأتذكر جميع تفاصيل تلك المآسي، كغرق ذلك الولد الأشقر في سنواته العشر تقريبا"[1]. وذكر أيضا الطفل أن البحر عن بعيد مكان ساحر رائع يبعث في النفس ذلك الشعور بالأريحية حيث يقول: "ها هو البحر الأزرق الراكد الذي سحرني وأبهرني وأنساني قريتي وأبي ونفسي!"[2].

لجلّ الأماكن المذكورة في الرواية دور كبير، كونها من الطبيعة، ورواية "نيران وادي عيزر" وقعت أغلب الأحداث في الرّيف والغابات الجبال، وقد مر الروائي بكل تفاصيلها المعبرة عنها، هذه الأماكن المفتوحة والمغلقة في روايتنا ذات أهمية كبيرة، فهي أماكن تؤثر سلبا، حسب مجريات الرواية، على نفسية الشّخص، بحيث سلبت حريته، فالفرد أجبر على العيش فيها، كما نجد أيضا ما يؤثر سلبا عليها كالاستقلال واسترجاع الأراضي.

بعد حديثنا المطوّل عن الأمكنة المغلقة والمفتوحة، سنتطرق فيما يأتي إلى أماكن الإقامة باعتبارها أماكن مغلقة ومفتوحة، وسنعيد ذكرها لكن بإظهار جانب آخر من دلالتها عبر إبراز ما هو انتقالي فيها وما هو إقامي (إجباري، اختياري).

---

[1]-محمد ساري، المصدر السابق، ص 292.

[2]-محمد ساري، نيران وادي عيزر ، ص 361.

2- أماكن الانتقال والإقامة:

أولا: أماكن الانتقال:

يمثل هذا المكان عامة النبض والحيوية، والانتقال من موضع إلى آخر، إذْ يتحرر من خلاله الإنسان ويتمكن من التنفس والتفتح خاصة. تتميز هذه الأماكن بالعمومية، يرتادها الناس عند مغادرتهم لأماكن إقامتهم وتتمثل هذه الأماكن في (الدروب، الطرق، المقهى، المستشفى، البحر).

من خلال هذه الرواية تجلت العديد من الأمثلة التي تبين لنا هذا النوع من المكان:

1. المستشفى: يعتبر المستشفى من الأماكن الانتقالية كونه مكان ينتقل فيه الفرد من حالة المرض إلى حالة الشفاء، ويتمظهر هذا من خلال قول الأب:" كانت الأيام الأولى في المستشفى شاقة، عَصية الاحتمال. والوَجع ينخر ساقي، وأنا ممدد طوال الوقت فوق السرير"[1]. ويقول في مقطع آخر وهو يردد فضل الدكتور الذي أنقذ ساقه :"بدون تدّخل الدكتور بن سالم جزاه الله بمكانة في الجنة كنت فقدت ساقي"[2].

2. المقهى: يعد المقهى من أماكن الانتقال لاعتبارها مكانا بارزا في حياة المجتمع، وصنف في هذا الخطاب الروائي ضمن الأماكن الانتقالية كونه فضاء يقصده الإنسان لنسيان الهموم والترويح عن النفس فيغير من نفسية زائره وينقله من حالة الضجر والتعب إلى حالة الترفيه والاستمتاع، وهذا ما يؤكده السارد في المقطع التالي: "الزبائن يدخلون ويخرجون في حركة دؤوبة لا تتوقف، البهجة السارة والمرح والغبطة تملأ قلوب وحركات روّاد المقهى برغم ظروف عيشهم تحت سيطرة العساكر"[3].

---

[1]- محمد ساري، نيران وادي عيز، ص 244.

[2]-المصدر نفسه، ص 243.

[3]-نفسه، ص 286.

3. البحر: مثّل البحر في هذه الرواية أيضا على أنه مكان انتقالي بحيث كان فضاءً للتسلية والراحة لكن سرعان ما أصبح مكان خوف وموت، وذلك بسبب غرق الطفل الأشقر في سن العشرة سنوات عندما كان يسكن الطفل محمد في حوش "موجو"، ويتجسد هذا من خلال المشهد السردي التالي:" ذات يوم ماطر، والبحر هائج بأمواجه المتلاطمة تحت ريح قوية غامر الطفل بالاقتراب من *حافة الصخر المشرفة على خليج صغير عميق جدا، ربّما أغرته حركة اضطراب الأمواج* العالية وسقط في اللّج وأكلته الأمواج بسرعة خاطفة"[1].

4. الطرق والدروب: لقد سجّل فضاء الطرق والدروب حضورا كثيفا في الرواية، كونه فضاء تنتقل عبره الشخصيات، ذكر فيها بشكل صريح ودقيق، ولم يكثف الروائي بالتلميح إليه فقط، بل ذكر هذه الطرق والدروب ليدخلنا أكثر في جوّ الرواية ليجعلنا نعيش أحداثها ونتنقل عبرها.

ومن خلال الجدول التالي، سنوضح حضور هذا المكان الكثيف في الرواية وما دوره.

المقطع	الصفحة
المدن الكبرى و شوارعها العريضة عمارتها الضخمة التي تعانق الغيوم...	43
سالكا الدروب الحميرية الضيقة ...	17
يقضون نهارتهم يتجولون في الشوارع والأسواق، أو يحتلون مقاعد الساحة العمومية وزوايا الطرقات...	97
بعدما تجاوزنا الدروب الوعرة وطئت الأقدام المتعبة أرضية الطريق العريض الصالح للسيارات، المستقيم في مقاطعه الكثيرة، الّذي يحاذي وادي عيزر.	174

[1]- محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 292.

اقترب منتصف النهار، توقف الرجال عن العمل واجتمعوا هم أيضا عبر أفواج صغيرة متناثرة عبر الدرب المؤدي إلى المقبرة القريبة.	186
فارقته بعد أن نصحته ألا يسلك طريق الوادي الّذي لم يعد مأتمنا، بل عليه أن يسلك طريق بوحي مباشرة.	212
وعلمت له درب سيدي بلقاسم جنوب شرق ريفاي الموصول إلى غاية بوحي وأعالي وادي عيزر.	212
وقع الحادث في منعطف من منحدر حادّ في الطريق المؤدي إلى المدينة.	242
يفصل بينها وبين السياج المحيط بالسكنات طريق عريض تسلكه سيارات وشاحنات العساكر.	295
في البداية مشينا عبر الطريق المنحدر والمتعرج لمدّة جاوزت ربع ساعة، بهدف الالتحاق بالطريق الوطني وانتظار مرور الحافلة التي ستقودنا إلي شرشال.	356
هناك في الطريق الوطني بدأت الرحلة حقا و حقيقة.	358
بعد لحظات نسيت مغامراتي السعيدة، الحزينة، حينما دخلنا وسط المدينة، عبر الشارع الرئيسي العريض.	363

ومن خلال الجدول يمكن تسجيل ما يلي:

يتنوع حضور هذا المكان في رواية "نيران واد عيزر" من خلال تمظهره في الرّيف، فنجد السارد يذكر تارة الدروب الحميرية، الدروب الوعرة، الدروب الراجلة، كما ذكر الطرق الموجودة داخل المدينة كالطريق العريض والشوارع والطريق الوطني.

بعدما قمنا بالحديث عن الأماكن الانتقالية، سنتطرق إلى أماكن الإقامة الموجودة في رواية "نيران وادي عيزر" التي سنقوم بإدراجها في الجدول الموالي:

ثانيا: أماكن الإقامة:

1. الإجبارية:

المكان الإجباري	المقطع	الصفحة
الوادي	إنه أرعب عبور لوادي عيزر عشته في حياتي.	11
الثكنة	فقدر ما كان مروري اليومي الإجباري إلى الثكنة العسكرية مزعجا ومقيدا لحريتي ...	307
الورشة	ينقل الآجر وأكياس الاسمنت، من مستودع بالمدينة إلى ورشة بناء في أعاليها.	242
الجبال	صحيح أنني لم أكن أوفقه على الصعود إلى الجبل للانضمام إلى المجاهدين فيما قصد البعض الآخر وادي عيزر...	165 166
الغابة	فقصد بعضنا، وأنا منهم، الجهة الغربية بتجاه نوفي وغابات سيدي سميان وغردوس التي أعرفها جيدا.	110
السجن	السكتور الكلمة الفظيعة! يمتلئ السجناء رعبا عند سماعها فقط بهذه الثكنة، أذاقوني العلقم. عشت داخلها أفظع وأبشع أيام حياتي.	222
الأحراش	وقد تابع سيرهم منذ خروجه من الغابة إلى غاية اختفائهم في الظلمة وسط الأحراش.	135
المحتشد	ما أدى بالعساكر الفرنسين إلى نقل أكواخ السكان من بن يامنة إلى منبسط آخر قرب الثكنة مباشرة وجمعهم في محتشد محاط بالأسلاك الشائكة...	189
المستشفى	كما رفيق هو واسمه نعم الرّفيق خلال اقامتي الإجبارية بالمستشفى	246
الكوخ	تؤثث هذه الحكايات سهرات مواسم الشتاء الباردة، الطويلة،	31

	المضجرة، ونحن مكوّمون داخل الأكواخ الهشة.	

ب. الاختيارية:

المكان الاختياري	المقطع	الصفحة
البيت	ولدوا يتربوا في الريف مع ذلك اختاروا لأنفسهم منازل فاخرة في المدينة وأقاموا فيها.	24
المقهى	كان المقهى المكان الوحيد، خارج البيت، الذي يسمح له بقضاء بعض وقته الفارغ.	286
الزاوية	بعد أن قضيت سنتين في حفظ القرآن في زاوية (الجوامع) غرب وادي عيزر.	119
المدرسة	لم يهنأ بالي وتهدأ نفسي إلا حينما دبرت منزلا بمدينة شرشال وسجلتكم أنت و إخوتك في المدرسة.	27
الضريح	استغلّت النساء، خاصة المسنات منهنّ الفرصة لزيارة الضريح للتبرك به...	181
المحلات	حينما دخلنا وسط المدينة، عبر الشارع الرئيسي العريض، الغاص بالمحلات المتنوعة، حيث كان أبي يتوقف بين الفينة والأخرى، يشتري سلعا...	363
المكاتب	أما المتعلمون، فلهم المكاتب النظيفة والأجرة الشهرية القارة.	82
البحر	وقد تعلمت الغطس والعوم بأريحية كبيرة في البحر، حينما سكننا في ذلك القصر المحاذي للشاطئ الصخري في موجو.	294
القصر	يستقبلون في أبهى القاعات والقصور، وإلى غاية القصر الملكي المغربي.	99

3- المكان المدني والرّيفي:

ترتبط المدينة مع الريف في صورة المعارضة والتقابل معا، فما إن يذكر المرء أحد من هؤلاء المصطلحات إلا ويظهر الآخر، فبذكرنا للمدينة نستدعي صورة الريف والعكس صحيح، ويكمن الفرق بينهما في كون المدينة كثيرة السكان، أما الرّيف فأقل سكّنا من المدينة، والمدينة تعتبر رمزا للحضارة والرّقي، وأما الريف، بالرغم من الهدوء والجمال الطبيعي، إلا أنه يرمز إلى التخلّف والبداوة والجهل.

أولا: المدينة: هي إطار مكاني واسع دائم الازدحام، تضم مجموعة من البنايات الراقية، وتتخللها الشوارع والممرات، وكذا مشاهد الساحات والحوانيت والمقاهي والحدائق ومختلف المرافق العامة التي يقصدها الفرد، "كما أنّ المدينة هي الشكل السكاني والاجتماعي المتطور عن القرية، والمتقدم عليها بخصائصه ووظائفه السياسية والاجتماعية والحضارية"[1].

ومن أبرز المدن التي ركز عليها محمد ساري في الرواية، نجد مدينة "شرشال" التي عرض لها صورة كاملة وبطريقة مفصّلة، مشيرا إلى كل ملامحها التي تميزها، وذلك باعتبار أن زيارة مدينة شرشال قد ظهر في الرواية على أنه حلم لابد من تحقيقه. وتتمظهر هذه المدينة في الرواية من خلال تخصيص السارد جزأين كاملين في الرواية الأول بعنوان "شرشال، المدينة المغرية"، والثاني بعنوان "شرشال".

اعتبرت شرشال في رواية "تيران وادي عيزر" مدينة مغرية لأنها غنية، تتطور وتختلف وتتغير حسب تغيّر الزمان، ففي قول السارد ورد ما يلي: "كانت شرشال دوما محلّ استقطاب لهجرات سكانية متتالية عبر العصور، باعتبار أنّ المدينة عتيقة، تضرب جذورها إلى ما قبل

[1]- رزاق إبراهيم حسين، المدينة في القصة العربية القصيرة، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، 1984، ص 17.

التاريخ حينما كانت تُسَمَّى يول في عهد يوبا الأول، ثمّ القيصرية عاصمة مملكة موريتانيا في عهد يوبا الثاني وكليوبترا سيليني، وأخيرا شرشال في العهود الحديثة"[2].

ويقول الروائي أيضا مستذكرا زيارته لأولى لمدينة شرشال: "أذكر ما عشته يوم الخامس من جويلية 1962 كما لو أنه حدث بالأمس فقط، في ذلك اليوم التاريخي، يوم ولادتي الحقيقية، وطئت قدماي الصغيرتان مدينة شرشال رفقة أبي"[3]. نجد السارد في هذا المقطع يشير إلى هذا اليوم التاريخي الذي يعدّ بالنسبة له كيوم ولادته ليقرب إلينا أكثر شعوره أثناء قرار أبيه أخذه إلى مدينة شرشال مدينة أحلام الطفل محمد ساري.

لم يكتف السارد بذكر الشغف وحلمه بزيارة المدينة فقط، بل ذكر كلّ الأماكن التي جذبت اهتمامه في ذلك الفضاء الذي امتدّ أمام عينيه وذلك من خلال توجيه ابنه له "أزر مليح أمحنديوْ [...] افتح عينيك وأذنيك جيدا. أمامك ساحة المدينة العمومية التي تسمى ((أمجور))، وبعدها مباشرة الواجهة المشرفة على البحر والميناء والشاطئ ((السكافون)) على يمينك البلدية والمتحف والدرك وطريق ريفاي ومارنغو. على يسارك وسط المدينة والسوق. وخلفك مسجد النصارى وفندق ((سيزاري)) الذي يقابل مكتب المجاهدين حيث دخلنا إليه هذا الصباح. هذه هي شرشال"[4].

نظرا لكثرة المدن في الرواية، اكتفينا فقط بذكر ووصف شرشال بالتفصيل أمّا عن باقي المدن سنتطرق إلى ذكر أسمائها فقط والتي سندرجها ضمن هذا الجدول:

الرقم	المدن	الصفحة
1	شرشال	93 /353 ...
2	الجزائر العاصمة	262/ 243 /246

[2]-محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص93.

[3]-المصدر نفسه، ص 353.

[4]-نفسه، ص 364.

3	بليدة	274/254
4	تيسمسيلت	319
5	خميس مليانة	289
6	عين وسارة	254
7	ريفاي	250/144
8	مارنغو (حجوط)	244
9	حسين داي	25
10	زرالدة	104
11	قليعة	104
12	عين دفلة	46
13	بلكور	246
14	زوريخ	221/203
15	الأصنام	252
16	برج منايل	273
17	القاهرة	214
18	مارسيليا	262

ثانيا: الرّيف: هو فضاء ذاكرة السارد التي ينتقل فيها عبر البيوت والدروب والأنهار والتلال والأشجار، موظفا ذاكرة غيره ليفجر ثبات هذا المكان، وليجعلنا نحسّ بما عاشه، ويعتبر الريف تلك الرّقعة والمنطقة المفتوحة من الأرض، تتميز بقلة منازلها وسكانها الذين يعيشون على الفلاحة وتربية المواشي، وتتميز القرى بنقائها ومناظرها الخلابة.

وبالنّظر إلى الرواية من النّاحية الاجتماعية، نجد أنّ الرّيف هي الجذور ومنبع العادات والتقاليد. بحيث يلعب الريف دورا بارزا في الرواية ويهيمن عليها بحضوره الكثيف، كما يلعب دورا أساسيا، فجاءت صورته متينة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالشخصيات، ووصف الحالة الاجتماعية لسكانها، إضافة إلى ذكر العلاقات الأسرية المترابطة.

ويظهر ذلك من خلال عنوان الرواية ألا وهو "نيران وادي عيزر" الذي من خلاله نكتشف قرية "عيزر" التي تعتبر المركز والأساس في هذه الرّواية. يقول الأب واصفا: "هنا عشنا دائما على سفوح هذه الربوة على حافة هذه الغابة الصنوبرية التي تراها في الأعلى قبل أن تأتي فرنسا وتطردنا شرّ طردة"[5]. ويعود الأب بذاكرته إلى "عيزر" وكيف كان قبل أن تقوم فرنسا بتهجيرهم عنوة فيقول: "في البداية، كانت هذه الجبال هانئة، بعيدة عن كل شيء ولا يصلها أحد ولو عن طريق الخطأ. يقسم السكان حياتهم بين خدمة أراضيهم بحرثها وزرعها وجني غلّتها، وتربية بضعة رؤوس الغنم والمعز[6]".

يقول أيضا محمد ساري من خلال هذا المشهد السردي الذي رافق فيه أبوه إلى مسقط رأسه: "بعد مرور فترة الانبهار والذهول، خطوت الأمتار الأولى بقلب مرتعش لأكتشف لأوّل مرّة المنزل الذي وُلدْت فيه. لقد حدّثني والدي أثناء الطريق عن بعض ذكرياته في ديار صباه، بصوت متهدّج يفضح انفعاله وتأثره هو أيضا وغبطة بالعودة إلى حيث تشكّلت ذاكرته الأولى[7]".

من خلال هذه المقاطع السردية تظهر عدة دلالات حملها الرّيف من حنين وأُنس وذكريات الطفولة الجميلة لكل من الأب وابنه.

الرقم	الأرياف	الصفحة

[5]- محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 21.

[6]- المصدر نفسه، ص 106.

[7]- نفسه، ص 19.

1	وادي عيزر	تقريبا في كل الصفحات
2	بن يامنة	178
3	حوش موجو	292
4	حوش دومار	63/83
5	منطقة الداموس	206
6	مارصو	127/144/68
7	محتشد ريفاي	189/191
8	محتشد لاصاص	189
9	آثمجوري	35
10	فنتين دي جيني	112
11	تيتاموسي	139/110
12	بوحي	139
13	بيرا	144
14	حوش جانكو	156

لم يكتف مؤلف روايتنا بذكر المدن والأرياف، بل أشار أيضا إلى بعض البلدان والتي سنقوم بإدراجها ضمن الجدول الموالي.

الرقم	البلد	الصفحة
1	الجزائر	202/312
2	فرنسا	312
3	الهند الصينية	203

4	ألمانيا	36
5	اسبانيا	37
6	الفتنام	203

نلاحظ ختاما أنّ للمكان أهمية كبيرة في أي عمل روائي، به تنمو الأحداث وتبرز، طرحه الروائي كفضاء واضح المعالم بطريقة واقعية فنية، وجسّد فيه تفاصيل أحداث لشخصيات في زمان ما، ويوصف المكان في روايتنا كمركز مهم ومنطقة للأحداث، بفضله عشنا تلك التفاصيل الدقيقة ودخلنا في بحر كلماته ومواصفاته وعمله السردي المعبر عن واقعٍ معاش. هذه الأماكن التي مررنا بها عشنا من خلالها أهم الأحداث التي نقلتها الرواية من مثل التهجير والتعذيب في السّجن، وفرحة الاستقلال والانتقال من القرية الريفية إلى مدينة شرشال.

الفصل الثاني:

"وادي عيزر" وعلاقته

بالرّواية.

أولا: علاقة المكان بالتشكلات السردية:

لا يقتصر المكان الرّوائي على كونه مجرّد خلفية للأحداث، بل يتعدى ذلك ليصبح عنصرًا فعالاً في العالم الرّوائي، يُظهر الجماليات، يشير للمعاني والدلالات، فيشكلّ المتن الروائي، مما يجعله يرتبط ارتباطا وطيدا مع باقي العناصر السردية لإيصال المضمون والغاية المنشودة.

تتبلور علاقة المكان بالمكونات السردية الأخرى في عدة زوايا، فتكمن علاقته بهم في عدم الانفصال، فلا الشّخصيات ولا الأحداث ولا الزمان يمكنهم الانفصال عنه، لأنه يتجلى في كونه جزءا لا يتجزأ من العمل السردي، وكلّ التشكيلات الأخرى ترتبط به فمسارها واحد، ألا وهو إخراج نص سردي ذو دلالات ومفاهيم تأثر في القارئ والملتقي. ولا ينشأ المكان بمعزل عن العناصر الأخرى، لأنه عنصر فعّال لما له من أهمية في السّرد، فبداخله تنظَّم الأحداث وتتحرك الشخصيات خلال فترة زمنية معينة، فيتعامل معها ببراعة تامة فيصبح إطارًا لها.

تكمن علاقة المكان بالشخصيات ببناء علاقة حميمية، فالشخصية تمرّ بأحداث داخل هذا المكان الذي يحمل في طياته التأثير في نفس الشخوص، فهو تُأثّر سلبي تارة وإيجابي تارة أخرى، مما يجعل النّفسية في حال الحنين تنجذب نحوه، وفي حال العقدة تبتعد عنه ولا تحتمل المكان أو الذكرى المعاشة فيه.

وأضحى للمكان حضور مميز في المتون الروائية، فمن خلاله نفهم موقع وسلوك الفرد وما يعيشه في فترات حياته، وبفضله يحسّ المتلقي بما مرّت به الشخصية، فيتأثر لحزنها ويفرح لفرحها، وتسمى العلاقة التي تنتج عن المكان والرواية بعلاقة فائدة، والمتمثلة في الحب والكراهية، الألم والسعادة.

أما علاقة المكان بالزمان فتتمثل في أنّ كلاهما مكمّل للآخر، فالمكان يملك أبعادًا، وحده الزمن يمكنه التحكم فيها، فلا يمكننا الحديث عنه دون الإشارة للزمان، لأنّ ذلك لا يؤدي للفنية الأدبية ولا يرقى إليها، لذا فالسارد يشكّل بينهما ما يسمى بعلاقة متبادلة بهدف الانسجام مع المكوّنات السردية الأخرى.

وفيما يخص المكان وعلاقته بالحدث، فيتضح لنا أنّ المكان هو ذلك الجزء الأهم من الحدث الذي يتواجد دومًا، فلا يمكن الاستغناء عنه بتاتًا، فيه يقع الفعل، وهو وعاء للحدث، والشخصية فيه مهما كانت تتحرك لا يمكنها التحرك خارج المكان. وتكمن علاقة المكان بالحدث في كونها علاقة متبادلة وضرورية لإثراء الرّواية، فالمكان يساعد في خلق جوّ ملائم ومناسب للأحداث سواءً كان جوًا مرعبًا، مخيفًا، رومنسيًا، أو تاريخيًا أو حتى خياليا.

يظهر المكان في روايتنا على أنّه ذلك البطل الرّئيسي لأن معظم الأحداث تدور حوله، ومعظم الشخصيات تتذكره وتتحدث عنه، فوادي عيزر بالرّغم من كونه مكانا إلا أنّه ليس كباقي الأماكن، فالكاتب جسّده لنا وصوّره في صورة شخصية تتأثر بمرور الزمان وبمختلف الأحداث التي مرّت عليها، فهو ذلك المكوّن الأساسي لأن بنية نصه لأنّه عنصر فعاّل طوّر الرّواية وبناها وأثر على شخصياتها.

فما هي علاقة المكان في رواية نيران وادي عيزر بالمكوّنات السردية المتمثلة في الزّمان والشخصيات والأحداث؟ وما الآثار التي تركها في كل عنصر من هذه العناصر؟

1. علاقة المكان بالزمان:

يرتبط المكان بالزمان في علاقة تكاملية فهما عنصران أساسيان في بناء النّص السردي، فلا أحد يستغني عن الآخر، وعدم وجود أحدهما يعني أنه لا وجود للآخر، كلاهما متجانسان ونظرا لهذا التجانس تتشكّل عناصر أخرى سردية لتكوين نص أدبي سردي، ومن بينها عنصرا الأحداث والشخصيات. ولا توجد شروط بين كل من المكان والزمان، فهما

مرتبطان ارتباطا شاملا فيما بينهما أولا، ومع العناصر الأخرى من ثانيا. إنّ علاقة المكان بالزمان إذن علاقة متكاملة فلا زمان بدون مكان ولا مكان بدون زمان.

أ- "وادي عيزر" قبل الاستعمار:

تمظهرَ "وادي عيزر "في الرّواية كمكان واقعي طرأت عليه تغيرات عديدة مع مرور الزمن، وبفعل الأحداث التي وقعت فيه، نظرا لأهميته في الرّواية ولسيطرته التامة على موضوعنا.

نلاحظ من خلال الرواية أن "عيزر" تلك القرية التي تعتبر مسقط رأس السارد ومكان أصوله ونشأته، هي منطقته الآمنة قبل الاستعمار، كانت مليئة بالسكان البسطاء، فيقرّ الأب ويقول إنّه رغم الفقر وقساوة الحياة وانعدام ظروف العيش الكريم، إلا أنّه عاش فيها حياة سعيدة. ويقول أيضا: "كنا في جبالنا نعيش في ألفة هادئة، الكل يعرف الكل، وأخبارَ بعضنا تنتقل إلى البعض الآخر، وبسرعة"[8]. فبالرّغم من كون المنطقة جبلية يصعب العيش فيها، إلا أنّ سكان عيزر كانوا يعيشون في ألفة وسعادة.

ويضيف الأب قائلا: "عشت طفولتي ومراهقتي في لا مبالاة سعيدة. نعم أقرّ أنني عشتها سعيدا، حينما أنظر إليها الآن بعد سنوات من استقلال البلاد، برغم الفقر وقسوَة الحياة"[9].

لقد تفنّن الأب في وصف الأرض كيف كانت في الماضي البعيد، فيقول من خلال مشهد سردي يصف فيه بيت سي جلول جد محمد ساري:" يَقع منزل الشيخ، هناك في المنخفض، وسط بستان واسع من أشجار التين واللوز والرمان والبرقوق والإجاص البري وتين

[8]- محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 108.

[9]-المصدر نفسه، ص 104.

الصبار الشوكي الذي يحيط الديار والبساتين مثل الأسوار الحارسة، التي تصدّ مرور الغرباء والحيوانات المفترسة"[10].

من خلال هذه المقاطع السردية الاستذكارية، يمكن الخلوص إلى القول إنّ "عيزر" رغم قساوة ظروفها وتميزها بالصّعوبة، إلا أنّها كانت منطقة عاش أهلها فيها في سعادة وودٍ، أكلوا من خيراتها، رغم قلتها وعاشوا في ضواحيها في طمأنينة وهناء.

ب- "وادي عيزر" في فترة الحرب والاستعمار:

تعتبر هذه الفترة الزمنية في الرواية من أكثر الفترات حساسية، حيث عاش فيها الروائي وعائلته وكل سكان "عيزر" والمناطق المجاورة لها صدمة حياتهم، المتمثلة في التهجير، ولقد ظلّت هذه الفترة راسخة في أذهانهم. فقد هُجّروا عنوة عن أرضهم، فأكرهوا على ترك ديارهم ونقلوا إلى محتشد محاط بأسلاك شوكية تحت حراسة دائمة، ضف إلى هذا المداهمات اليومية للعساكر الفرنسيين وأخذ الرجال في كل مرة إلى السجن وتعذيبهم وسلبهم حريتهم.

استرجع الطفل ذاكرته خلال مشاهد مؤلمةٌ موجعة لذلك التهجير المشؤوم مصطحبا معه ذلك العبور المرعب الذي زرع في كل الشخصيات آثارا جسدية ونفسية مؤلمة. وقد تحولت "عيرز" إلى منطقة مهجورة، منازلها مهدمة خالية من الحياة والحركة، بعد أن دمرت بقنابل نابالم المستعمر.

ومن المشاهد السردية المعبرة عن الفكرة السابقة قول السارد: "بقيَت صُور ذلك العبور لوادي عَيْزَر، ونحن نُطرَد من أراضينا بعد حرق العساكر الفرنسيين لمنازلنا عن طريق القنابل والتفجيرات، راسمَة في ذاكرتي كمنحوتات جدران مغارات ما قبل التاريخ، وتطفو إلى السطح كلّما حضَر ذكر طفولتي الأولى أيام حرب التحرير"[11].

---

[10]–محمد ساري، نيران وادي عيزر ، ص 23.

[11]– المصدر نفسه، ص 9.

ويقول الشيوخ معبرين عن الفكرة السابقة دائما: "ديارنا أحرقَتها نيران الطائرات اللعينة ولكن أرض الله واسعة ورحمته لا يحدّها حداّ"[12]، وفي مقطع آخر تقول الأم: "هجّرتنا فرنسا من ديارنا في أعالي الجبال لأنها أصبحَت مأوى يومي للمجاهدين الذين يحاربونها لإخراجها من بلدنا"[13]، فمن خلال هذه المقاطع الاستذكارية لكل من السارد والأم والشيوخ نخلص للقول إنّ منطقة "عيزر" في فترة الحرب لم تكن مأوى لأهل المنطقة فقط، بل حتى للمجاهدين، مما جعل المستعمر يفجّر تلك المنطقة ويهجّر أهلها، وتصبح منطقة مهجورة خالية من السّكان والحياة.

ج- *"وادي عيزر" بعد الاستقلال:*

يعدّ "وادي عيزر" في الوقت الحاضر مكانا مهجورا تغيرت كل ملامحه وتفاصيله، حيث أضحى أنقاض جدران، وأحجار متناثرة بعدما كانت منطقة عامرة بالسّكان، تحيطها حقول وبساتين من الأشجار المثمرة المختلفة، وهي الآن حقول مهجورة اكتسحت ساحتها الأعشاب البرية، وأما الوادي المثعبن الفياض أصبح شبه جاف، لم يبق منه إلا تلك العين الفوارة التي كانت مصدر ارتواء السكان وسقي حقولهم.

وفي هذه المقاطع الّتي سنعرضها يظهر محمد ساري صورة "واد عيزر" بعد الاستقلال، فيقول خلال زيارته لهذه المنطقة في السابعة أو الثامنة من عمره: "من البلدة التي رأت مسقط رأسي، لمْ يبقَ منها إلاّ أنقاض جدران من الأحجار المتناثرة هنا وهناك"[14]. ويقول أيضا:" وقد قطعت مسافة طويلة راجلا، عبرت الوادي بمجراه الشبه الجاف ثم تسلّقت الرَبوة المشجرة الصاعدة والتي اسودّ نصفها بسبب الحريق المهول الّذي التهمها الصائفة الماضية"[15]. وأما الأب فيقول في مشهد آخر: "واليوم، مثلما ترى أمام عينيك، هجر الجميع

---

[12]- محمد ساري، نيران وادي عيزر ، ص 176.

[13]- المصدر نفسه، ص 12.

[14]- نفسه، ص 17.

[15]- نفسه، 17.

هذه الديار أثناء الحرب، أو بالأحرى، هُجِّرنا منها بقوة السلاح والنار، وبعد الاستقلال، قلّة مَن عاد إليها، لذلك بقيَت كل هذه الأراضي مهجورة، مهملة،"[16].

نستنتج من خلال ما تقدّم، أنّ "وادي عيزر" تغير تغيرا جذريا، فبعدما كان قرية عامرة بالسكان مفعمة بالحيوية، أضحى مكانا منسيا، ولم يعد يسكن فيه أحد، كما أنّ البيوت أصبحت خرابا وأطلالا، فالمكان في آخر المطاف يشكّل مع الزمان علاقة وطيدة تتجلى من خلال العلاقة التكاملية الموجود بينهما، فلا يمكن فصل بعضهما البعض بأي شكلٍ من الأشكال، فإذا تحدثنا عن الزمان فذلك يستدعي الحديث عن المكان والعكس صحيح.

2. علاقة المكان بالشخصيات:

تمثّل الشخصية في الرّواية عنصرا أساسيا بحيث تصوّر الواقع وتجسد الأحداث من خلال حركات وأفعال، فالشخصية، لا يمكن فصلها أو عزلها عن المكان لأنها هي كذلك من العناصر السردية المهمة التي تعبّر عن الأحداث السردية وتقوم بتجسيدها.

وقد قيل إنّ "الشخصية على الأرجح أهم عنصر مفرد من عناصر الرواية"[17]، وقيل أيضا: "الشخصية أصعب جانب من جوانب الفن الرّوائي يمكن مناقشته مناقشة تكنيكية ويرجع هذا في جزء منه إلى وجود أنماط مختلفة كثيرة جدًا لتقديمها: شخصيات رئيسية وشخصيات ثانوية، شخصيات ثابتة، وشخصيات متغيرة"[18].

وتعدّ الرواية من أهم الأدوات الأدبية التي تستخدم لإظهار علاقة المكان بالشخصيات، لأنه العنصر الأدبي المهم الذي يقوم بتحديدها، حيث يؤثر على سلوكها ويساعد في فهم طبيعتها. وتتكون الشخصيات في الرواية من ثلاثة فئات: لشخصيات رئيسية (مركزية)،

---

[16]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 23.

[17]–دفيد لودج، الفن الروائي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،ط1، 2002، ص 78.

[18]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

شخصيات مساعدة (ثانوية)، وشخصيات عابرة (مشاركة)، ولقد وردت كلّ هذه الشخصيات في رواية "نيران وادي عيزر"، وأوّل شخصية ذكرها هي:

أ-الشخصيات الرئيسية:

الشخصية الرئيسية "هي التي تدور حولها أو بها الأحداث، وتظهر أكثر من الشخصيات الأخرى، ويكون حديث الشخوص الأخرى حولها، فلا تطغى أي شخصية عليها، وإنما تهدف جميعا لإبراز صفاتها ومن ثم تبرز الفكرة التي يريد الكاتب إظهارها"[19].

الشخصيات الرئيسية هي تلك الشخوص المختارة من قِبل السارد لتؤدي الدور فتقوم بتجسيد الأفكار والوقائع التي تحدث في المكان، وتتمحور حوله الأحداث داخل الإطار المكاني. وتعدّ الشخصية الرئيسة في العمل الأدبي والسردي النقطة المركزية الأساسية في الرّواية، أهميتها تفوق أهمية باقي الشخصيات الثانوية منها والعابرة.

تتمثل الشخصيات الرئيسية في رواية "نيران وادي عيزر" في:

1.شخصية الطفل: أي شخصية السارد عندما كان طفلا، كان ذلك الولد الذي اختلطت ذكرياته بغيره، وشكّل لنا هذا العمل الروائي بسرده تفاصيل تركت في نفسه، وهو طفل، ذلك الإحساس بعدم الأمان والخوف الشديد من الاستعمار، وما خلّفه، فسرد لنا هذه الرواية مستخدما ذكرياته وذكريات غيره.

تميزت علاقة الطفل بـ"وادي عيزر" بعدة صور، حيث إن "وادي عيزر" هو مسقط رأسه، والمكان الذي ترعرع فيه، ومع مرور الأيام تغيرت صور هذا المكان من مسقط الرأس والمأمن إلى مكان المأساة والذكرى المؤلمة، وذلك من خلال تلك الصدمة التي عاشها هو وأهل المنطقة، ألا وهي صدمة التهجير الجماعي وصَدْمة فُقدان الأخ الصغير رشيد.

---

[19]-عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزف، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط4، 2008، ص 135.

وسنكتشف من خلال المقاطع السردية الآتية مدى تأثّر الطفل محمد ساري بتلك الصدمة وهذا من خلال قوله: "كان الكلّ يقصّ أحداث ذلك الترحيل الإجباري المشؤوم، تلك القطيعة الفاجعة مع أرض الأجداد، والدخول في تيه ترك صدمة لم يتمكّن من مَحوها الاستقلال بما جلب من أمن وخير"[20]. وفي قوله أيضا:" اليوم، وبعد مرور سنوات طويلة، عندما يحدث لي أنْ أتذكّر تلك اللحظات المُرعبة [...] ترفض ذاكرتي الذَهاب إلى أبعد من تلك الرحلة الشاقة"[21]. ويقول بخصوص الأخ المتوفي أثناء التهجير المشؤوم أيضا: "أخي الصغير رشيد الذي لم يتجاوز عمره سنته الأولى توفي في تلك الرحلة المشؤومة"[22].

واضح مما تقدم أن الروائي أظهر مدى تأثّير المكان في الشخصية ونفسيتها، بمعنى أنّ للمكان قوة تقود الإنسان إلى التأثر به، فالمكان له القدرة على إظهار مشاعر وأحاسيس الشخصية وأفكارها.

2. شخصية الأم:

يعد "وادي عيزر" بالنّسبة للأم ذلك المكان الذي تعرفه منذ الصغر، فهو مجاور لقريتها، وفيه يتواجد أقاربها، وبعدما أصبحت في سن الزّواج أضحى مكان إقامتها بعد أن زُوجت إلى عائلة ساري القاطنة في عيزر، لكن مع مرور الوقت وبعد الفاجعة الكبيرة التي عاشتها الأم في ذلك المكان، أصبحت علاقة الأم به علاقة قائمة على التوتر والإحساس بعدم الاستقرار والإحباط والخوف، فقد بات "وادي عيزر" في نظرها من الأماكن التي قضت فيها أسوء اللّحظات وأرعب الذكريات في حياتها، والتي ضلت محفورة في ذهنها.

لقد بيّن الروائي "محمد ساري" في مقاطع سردية عدة جاءت على لسان أمه تلك المعاناة التي عاشتها في ذلك المكان، فيقول مثلا: "كنت شغوفا بسَماع حكايات أمّي عن

---

[20]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص15.

[21]–المصدر نفسه، ص174.

[22]– نفسه، ص176.

طفولتها وحياتها القاسية في سنوات ما قبل التهجير"[23].وأما الأم فتقول: "اليوم حينما استحضر ذلك العبور، يبدو لي أنه دام دهرًا".[24]

كما تروي الرواية، فضلا عما سبق، تفاصيل ذلك العبور لوادي عيزر خلال حادثة التهجير الجماعي لسكان منطقة عيزر وما مدى شؤم تلك الرحلة وقساوتها خاصةً على الأم التي فقدت رضيعها، تقول الأم: "إنّه أرعب عبور لوادي عَيْزَر عشته في حياتي. أبدا، لم أحسّ بهلع يماثل هلع ذلك اليوم. انتابني رُعب من أنْ تجرفني المياه الموحلة، ولكنّ رغبتي انصبّ خاصة على مصير أخيك الصغير، رشيد، الذي كنت أحمله على ظهري. أظنّ جازمة أنه لفظ أنفاسه الأخيرة مع صقيع برد ذلك العبور"[25].

أكّد الروائي محمد ساري في المقاطع السردية السابقة أنّ المكان يؤثر في كيان الفرد، وهذا من خلال تأثير وادي عيزر على نفسية الأم، ووصف شعورها بالمأساة والكره اتجاهه بسبب تلك الصدمات التي عاشتها، فتكوّنت بذلك علاقة تنافر نظرا لعدم تطابقها عاطفيا مع هذا المكان.

3. شخصية الأب:

يعتبر وادي عيزر بالنسبة للأب ذلك المكان الذي ولد ونشأ فيه، وهو مكان طفولته الأولى ومكان شبابه، المكان الذي أطعمه وسقاه، هو المكان الذي بفضله عاش تجارب كسرته، وأخرى استمد منها القوة، فهو بشكل عام مكان للألفة وهو أكثر مكان التصق به في حياته عاش فيه حزنه وفرحه وكلّ أنواع المشاعر والأحاسيس.

---

[23]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 40.

[24]– المصدر نفسه، ص 49.

[25]– نفسه، ص 11.

لقد جسّد لنا الأب خلال ما عاشه في هذه القرية تفاصيل عديدة حيث يقول:"هنا عشنا دائما، على سفح هذه الربوَة على حافة هذه الغابة الصنوبرية التي تراها في الأعلى، قبل أن تأتي فرنسا وتطردنا شرّ طردة"[26].

ويقول أيضا:" تعلّمت اللعب مبكّرا، في مباريات سريةَ بعمق الوادي، قبل أن يبادر خالي عبد القادر إلى فتح مقهى حقيقي، أوّل مقهى في منطقة عَيزَر بضفّة الوادي"[27]. وأمّا بخصوص أنّ عيزر القرية أطعمته وسقته فهذا يتضح في قوله: "أتذكّر أنني كنت قرب الوادي أحرث الأرض استعدادا لزرعها قمحًا وشعيرًا، يرافقني أخي أحمد" [28].

في الأخير نستنتج أنّ "عيزر" الوادي والقرية بالنسبة للأب، هو ذلك المكان الذي يشعر بالحنين إليه مع مرور الوقت، لأنّه أول مكان سكنه في الحياة، فيه عاش أكثر التفاصيل في حياته ما نتج عنه علاقة امتنان وانتماء.

4. ابن خال الأب:

من الشخصيات الرّئيسية التي صادفتنا في روايتنا نجد ابن خال الأب هو ذلك التلميذ النّجيب الذي عاش طفولته في عيزر سجّله والده في المدرسة الفرنسية بشرشال، بعد حفظه للقرآن في زاوية لمدة سنتين، كان وادي عيزر بالنسبة له مكان الطفولة الجميل، فبالرّغم من انتقاله إلى شرشال، إلاّ أنّه في العطلة يعود إلى مسقط رأسه في بيتهم في عيزرْ، كان طفلا متعدد المواهب، فقد كان يرى الأغنام ويصيد السمك، ويظهر هذا من خلال قوله:" وكنت أقضي العطل في بيتنا في عيزَر، برفقة أخي محمّد وأبيك، وهما أكبر منّي سنًّا، أرعَى معَهم الغنم وأركض في الحقول وأصيد السمك في برك وادي عيزَر"[29].

---

[26]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 21.

[27]– المصدر نفسه ص،126–127.

[28]– نفسه، ص 127– 128

[29]– نفسه ص 119.

5. ابن العم عبد القادر:

تمثلت شخصية ابن العم عبد القادر في الفتى المُتحرّي والمحقق حول قضية اختفاء أبيه وحول مسألة موته في ظروف غامضة، فمن خلال مهمته التحقيقية أظهر لنا مدى تعلق هذه القضية بمنطقة وادي عيزر، لأن قضية اغتيال أبيه حدثت في تلك المنطقة وبالضبط في أعالي جبال "زيوا". قال دادر مستذكرا والده:" دفع والدي ثمن رجولته وشجاعته وكلّفته حياته. كان عمري خمسَ سنوات حينما وقعت أحداث اختفائه، ولا أتذكر منها الكثير"[30].

تسعى ملامح شخصية الفتى عبد القادر في هذه الرواية لتأكيد مجموعة من السمات الخلقية الخاصة، وتتمثل في الشجاعة والأصالة، فبرغم مرور وقت طويل على اغتيال أبيه، إلا أنّه عاد إلى مكان مقتله محاولا تفكيك ذلك الغموض الذي حالفه منذ صغره، وذلك بمساعدة شهادة الشخصيتين الشيخ والخال عبد القادر اللذان أوصلاه إلى الحقيقة وأزالا عنه ستار الغموض.

تعتبر شخصية دادر شخصية تسعى لمعرفة المجهول وفهمه؛ مجهول كان يحوم حول وفاة الوالد، فأضحى زائرا للمكان الذي أغتيل فيه والده، بهدف معرفة قاتله الذي كان سبب تيَتّمه في سنّ الخامسة.

وعلى الرّغم من وصول دادر إلى حقيقة مقتل أبيه، إلا أنّه وبالوضع الذي فرض عليه لم يحاول الانتقام من قتلة والده، ومن هنا نستنتج أن علاقته بالمكان هي علاقة حيادية.

تكمن العلاقة النّاجمة عن اختلاط المكان بالشخصية في علاقة متبادلة بحيث يؤثر عليها وعلى هيئاتها، ويؤثّر هو الآخر عليه وعلى طبيعته، ولعل من أفضل الأمثلة على هذا، رواية "نيران وادي عيزر" والتي من خلالها اكتشفنا عمق العلاقة التي بينهما.

---

[30]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، 149.

ب-الشخصيات الثانوية:

هي شخصيات تقوم بأدوار ثانوية، أقلّ أهمية من الشخصيات الرئيسة، وتأتي كأفراد مساعدة، لها دورها الخاص في الرواية، وهي مساعدة الشخصيات الرئيسية في تأدية مهامها وإبراز الحدث، قيل عنها: "تضيء الجوانب الخفيّة أو المجهولة للشخصية الرئيسية، أو تكون أمينة سرها فتبوح لها بالأسرار التي يطلع عليها القارئ"[31]. فالشخصية الثانوية اذن هي البوابة التي نطل من خلالها على الأحداث. وباعتبار رواية "نيران وادي عيزر" متسمة بحضور كثيف للشخصيات الثانوية وفيما يلي نستعرض البعض منها:

1. شخصية المستعمر:

يعتبر الاستعمار الفرنسي الطرف الثاني والعنصر الأساسي إلى جانب العنصر الذي يأتي من الدرجة الأولى، ألا وهو عنصر الثورة التحريرية، ونلاحظ أن الروائي "محمد ساري" قد جسد هذا في روايته" نيران وادي عيزر" من خلال إظهار شخصية المستعمر على أنها تملك الحرية والسلطة والهيبة، إلا أنها تفتقر للاحترام المطلوب، وارتبطت أيضا بأحداث الرّواية في السجن، الهروب، الثورة، والصراع.

قد يبدو من الوهلة الأولى أن المستعمر الفرنسي، هو المركز والقوة التي تحفظ الأمن والاستقرار، ولكن بعد الغوص في المتن الحكائي، نكتشف أن المجاهدين أو (مجانين الجبل) كما لقبتهم القوات الفرنسية، بالرّغم من بساطة قوتهم بالمقارنة مع ما يملكّه العدو من إمكانيات، لكنهم يحضونا بالاحترام والتبجيل في أوساط الشعب، وسكان وادي عيزر خاصة وما يحيط بها من قرى.

[31]-عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص 135.

وقد تأكدت لنا صورة المستعمر الظالم في أكثر من مقطع، حيث تبينت لنا علاقته بهذه الارض التي هي علاقة تقوم على الماديات والنهب والسلب، وعلاقة العداوة، يقول السارد:" داهَم العساكر الفرنسيون جبالنا أوّل مرة بذلك العدَد الهائل يوم فرّ 25 أسيرا من سجن شرشال"[32]. ويقول أيضا: "جميع أهل منطقتنا، بما في ذلك الأطفال، يعرفون جيدا أن العساكر الفرنسيون أعداؤنا فيمنع التعامل معهم"[33]. ويقول كذلك في مقطع آخر: "ذات يوم فاجأنا العساكر الفرنسيون بإخلاء البناية التي آوتهم خلال سنوات طويلة ومغادرة ريفاي، وبلا رجعة"[34].

2.شخصية المجاهد:

تمثل شخصية المجاهد صورة من صور المقاومة، وعدم الرضوخ والاستسلام ومحاربة كل أنواع الاستبداد الاستعماري وأشكاله، فنجده يقف مقاوماً في سبيل الدفاع عن أرضه ووطنه، فشخصية المجاهد ترصد لنا من الحرب، كل أشكال العنف والظلم والاستبداد التي يمارسها الاستعمار على الشعوب، فالمجاهد شخصية تقاوم بالنفس والنفيس في سبيل تحرير وطنه من ظلم العدو الغاشم، وهذا ما لمسناه في ثورة التحرير الجزائرية المجيدة، ولذلك نجد دائما الروايات تعالج قضايا الثورة وتمجيد أبطالها سواء كان البطل فردا أو جماعة أو كان امرأة أو رجلا، فالهدف مشترك هو المقاومة من أجل نيل الحرية.

وفي هذا المقام نجد "محمد ساري" قد صوّر شخصية المجاهد أو "الفلاقة" أو "مجانين الجبل" كما لقبهم المستعمر الفرنسي واعتبرهم خارجين عن القانون، لكنهم في حقيقة الأمر رجال يقومون بواجبهم اتجاه الثورة واتجاه الوطن، ومن أمثال هذه الشخصية التي وردت في رواية "نيران وادي عيزر" نجد:

---

[32]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 109.

[33]– المصدر نفسه، ص، 112.

[34]– نفسه ص، 325.

القائد سي علال: هو "قائد فرقة المجاهدين وهو عسكري سابق في الجيش الفرنسي شارك في حرب لاندوشين الهند الصينية والفيتنام، ثم اشتغل في سلك الدرك لسنوات قليلة قبل أن يلتحق بالمجاهدين بمجرد تكوين المجموعات الأولى من جبالنا"[35].

سي محوش: الملقب بسي موح هو قائد الناحية يعمل إلى جانب القائد "سي علال" وهما من الجنود القدماء المجاهدين الصناديد[36]، اللذان أفادا كثيرًا الأب وتوجيهه أثناء أداء مهمته المدنية.

باني: يحدثنا عنه الأب ويقول: "أتذكر حال الشاب "باني" وهو من عائلة قريبة لأمّي كان مجنّدا في الجيش الفرنسي منذ شهور، وحينما جاء في عطله تشاجر مع فرنسي وتدخّلت الشرطة وحجزت أوراقه الرسمية. جاء عندي ذات مساء بعد غروب الشمس ليشتكي حاله وأنه كره من الجيش، وخاف أن يجنّد في فرق تحارب المجاهدين"[37].

الشاب عبد الله: الشاب الضعيف الذي يبلغ من العمر عشرين سنة، والّذي أصر على الأب أن ينقل هو أيضا طلبه إلى سي علال، ويلتحق بالمجاهدين، فيصف الأب ملامحه الجسدية، ويقول عنه:" هكذا حدث مع الشاب عبد الله في العشرين من العمر اتصل بي وأصر"[38]. وكما ذكر أيضا مجموعة من المجاهدين الآخرين الّذين حرصوا على أن تقيم عائلاتهم في المنازل الجميلة التي تركها المعمرون والفرنسيون. يقول الأب:" حرصت على أن تقيم العائلتان في منزلين جميلين واسعين من تلك الشجرة الّتي تركها المعمرون الفرنسيون، علي حشمان، بوغنجاين، زواني، بوشانون، سي محمد الحلاق، باني، هذا القريب الذي ساعدته للصعود إلى الجبل وأسماء أخرى نسيتها"[39].

---

[35]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص، 203.

[36]– المصدر نفسه، ص 235.

[37]– نفسه، ص 215.

[38]– نفسه، 217.

[39]– نفسه، 318.

وما يمكن استنتاجه أنّ شخصية المجاهدين جاءت مرتبطة ارتباطا وثيقا بمنطقتها ووطنها عامة، وكانت أيضا علاقة هؤلاء المجاهدين بهذه الأرض كعلاقة الابن نحو الأم وأداء الواجب بهدف رؤية الوطن يصبو نحو الحرية والاستقلال.

3. شخصية الضحية:

تمثل شخصية الضحية الشخصية التي أصيبت بالضرر سواء كان ضررا جسديا أو نفسيا أو عقليا، عن طريق حوادث أو حالات إهمال، ويمكن أن تعاني أيضا شخصية الضحية من الخسارة والتعرض للتعذيب .

تعد هذه الشخصية من الشخصيات التي تواجدت بنسبة معتبرة في رواية "نيران وادي عيزر" والتي صنفت كالتالي:

ضحية التهجير: وهي أولى الضحايا التي عرفتها رواية "نيران وادي عيزر" التي تمثلت في أخ الروائي "محمد ساري" الأخ الرضيع رشيد الذي راح ضحية ذلك التهجير القسري، فنجده يقول" أخي الصغير رشيد الذي لم يتجاوز عمره سنته الأولى توفي في تلك الرحلة المشؤومة[40]"

الضحية المغدورة: والتي تتمثل في أب الفتى دادر، محمّد، والذي اختفى في ظروف غامضة، واكتشف الابن بعد سنوات أنّه قد قتل تعسفا من قبل المجاهدين، ظنّا منهم بأنّه أوشى بالمجاهد محمّد الذي أُغتيل من قبل الاستعمار الفرنسي. يصفه ابنه دادر من خلال هذا المقطع قائلا:" كان والدي محمّد رجلاً ذا قامةٍ مديدةٍ وقُوة جسدية يشهد لها جميع من عرفوه وتحدثت معهم، فتوة باسلة ذاعت شهرته في كامل منطقة عيزر وما جاورها "[41]، وتضيف الأم وتقول عن سلوكه:" كان أبوك غليظ السلوك وزوجا فضا قاسيا مستبدًا[42]"

---

[40]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص، 176.

[41]–المصدر نفسه، ص150.

[42]– نفسه، ص 151.

ويقول الابن بخصوص حادثة اختفاء الأب" أكدت لي أمي أنه حدث أياما بعد إيقاف واغتيال الجيش الفرنسي لشخص يسمى امحمد هو صديق وشريك سي عبد القادر خال أبي في أعمال البيع والشراء"[43] .

ويقول أيضا الخال عبد القادر" أنا أعرف جيّدا ذِهنية القرويين عندنا، وكنت أنتظر الكثير من بني عمومة سي امحمّد وهم كثّر، ولكنني لم أكن أتصور أبدا أنهم سينتقمون لقتيلهم بقتل أبرياء: حفيدايّ، أبوك ابن اختي، وجلول ابن أخي البكر المتوفى"[44].

ومن خلال هذه المقاطع نخلص إلى القول إنّ العم محمّد كانت علاقته بوادي عيزر علاقة معادية لأنّ وادي عيزر هو المكان الذي قتل فيه غدرًا.

ضحايا الساقية: لقد ذكر لنا الرّوائي الضحيتين اللتان توفيتا غرقا في الساقية الأولى:

الضحية الأولى هو الطفل الصغير الذي غرق في أولى أسابيع إقامتهم في بن يامنة والذي قال عنه:" قبل شهور كثيرة، في أولى أسابيع إقامتنا في بن يامنة، غرق طفل صغير أيضا، ولكنّي عرفت تلك الحادثة من حديث وحكايات الكبار. أما أنا فلم تسعفني ذاكرتي على استحضارها"[45].

أما الضحية الثانية فهي مليكة، "وهي طفلة صغيرة ذات ستة سنوات يقول عنها الروائي لم أكن أعرف الطفلة عن قرب [...] ولكن الصورة الوحيدة التي لازلت أحتفظ بها عنها، صورتها وهي تنطّ باستخدام الحبل على قريناتها، بصندلها الأسود المغبّر وضفيرتيها المتدليتَين على كتفيها النحيلين"[46]،ويقول أيضا: "كانت المسكينة مليكة الضحية الثانية التي ابتلعتها الساقية/ الغولة"[47].

---

[43]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 156.

[44]– المصدر نفسه، ص 168.

[45]– نفسه، ص، 291.

[46]– نفسه، ص 290–291.

[47]– نفسه، ص291.

ضحية البحر: تتمثل في ذلك الولد الأشقر الذي يبلغ من العمر عشر سنوات تقريبا، الفتى الذي أغرته أمواج البحر المتلاطمة، يقول السارد عن هذه الضحية : "ذات يوم ماطر والبحر هائج بأمواجه المتلاطمة تحت ريح قوية غامر الطفل إلى الاقتراب من حافة الصخر المشرفة على خليج صغير عميق جدا ربما أغرته حركة اضطراب الأمواج العالية وسقط في اللجّ وأكلته الأمواج بسرعة خاطفة"[48].

ضحايا الاستعمار: ظهرت ضحايا المستعمر في معظم أحداث الرواية، كون رواياتنا تحدثنا عن قمع المستعمر الفرنسي، كما يمكن أن نعتبر كل شخصيات الرّواية ضحايا لهذا المحتل الظالم، ولكن في عنصرنا هذا سنكتفي بذكر مجموعة من الشهداء الذين قتلوا غدرا.

-وأولهم أحد الأبناء من ضواحي قرية "فنتين دي جيني" الذي اقتنع أبوه بوعود فرنسا وأقنعه بتسليم نفسه لرجال الدرك" فعاش الأب أبشع شقاء في حياته اتصل بالدرك ليخبرهم بنّية ابنه في تسليم نفسه فجاءوا قبل الغروب مدجّجين بالسلاح وأخذوه على أساس إعادته إلى السجن لكن الأنذال قتلوه في طريق العودة رميًا بالرصاص ورموا جثته في عمق الوادي وعادوا إلى سكناتهم"[49].

-السجين الذي أوشت به العجوز التي آوته في بيتها، وبعد ذلك خانت ثقته حيث أخبرت المستعمر بوجوده عندها، و"قبل منتصف الليل بعثت أحد أحفادها إلى دار القايد الذي أخبر بدوره رجال الدرك [...] قال شاهد عيان أن المسكين وصل جثة مترهلة بلا حياة مشوهة، ملطخًا بالدماء ومعفرًا بالتراب"[50].

وذُكرت أيضا مجموعة من المجاهدين الّذين سقطوا ضحايا ذلك الاشتباك، عند أسفل الهضبة الشرقية المطلة على جبل شنوة، يقول الأب:" كنت أعرف أغلبيتهم بحكم تواصلي

---

[48]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 292.

[49]– المصدر نفسه، ص112.

[50]– نفسه، ص 113.

دائما مع مركزهم في حيّونة: سي عُمَر، سي عيسى، سي أحمد تيدافي، سي رابح، سي بوعلام الصغير. قُتِلوا في كمين نصّبه لهم الجيش الفرنسي"[51].

عبد القادر ومحمد: هما أخوين من عائلة مجاورة سقطا شهيدين بقرب عين تيتاموسي، والبكر منهما مجاهد جاء لزيارة زوجته التي أنجبت طفلاً منذ أيام،" فاجأه التمشيط، فحاول الهرب بالتسلل عبر منحدر أردوازي يوصل إلى الوادي[...] وهناك تمّ تعذيبه إلى غاية الموت"[52].

أحمد الشنوي: وهو المجاهد الذي جاء لزيارة الأب، ولقي حتفه عند الوادي، وذلك بسبب عدم العمل بتوجيهات الأب، يقول الأب:" ذات ليلة باغتتني زيارة مجاهد بمفرده اسمه أحمد الشنوي، دون إخباري [...] لم يبق عندي إلّا فترة قصيرة، تعشى معي وتبادلنا حديثا مقتضبا حول الوضع عامة لذلك أخبرت المجاهد بالمستجدات الطارئة وعلمت له درب سيدي بلقاسم في جنوب شرق ريفاي والموصل الى غابة بوحي وأعالي وادي عيزر، وبعد ذلك يمكنه الانعطاف باتجاه الغرب و قطع مجري الوادي ودخول الغابة الآمنة إلى غاية عردوس وسيدي سميان، ولكن التعيس لم يسمع كلامي واستخف بالتحذيرات التي قدمتها له [...] وعند التاسعة صباحا، انبعث صوت عربي من مكبّر صوت يأمر جميع الرجال الالتحاق فورًا بالبطحاء المحاذية للثكنة، وهناك رأيت جثة أحمد الشنوي ملقاة في مؤخرة شاحنة عسكرية وطلبوا منا إن كان أحدنا يعرف هوية (الفلاق)"[53].

وفي هذا الإطار نجد أن شخصية ضحية الاستعمار هو البطل المضطهد، وهو الشخص الّذي عانى الأذى والخسارة، وتعرض للتعذيب والإهانة والخيانة، وسلب منه حقه بطريقة شنيعة[54].

---

[51]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 140.

[52]– المصدر نفسه، ص 205.

[53]– نفسه، ص: 112– 116.

[54]– ينظر نفسه، ص 212– 213.

4. شخصية زملاء الأسرى:

وهي شخصيات عرضها لنا الرّوائي في فترة سجن أبيه، حظيا الأب برُفقتها خلال إقامته الجبرية خاصة في محتشد بول كازيل، فقد تعرف على شخصيات استفاد منها الكثير، كتعلم القراءة والكتابة وأنشطة أخرى كلعب كرة القدم. ونذكر منهم:

أحمد: وهو السجين الذي وجده في الشاحنة خلال توقيفه الأول وهو "من دوار أقاسي في الجهة الجنوبية المقابلة، هو أيضا يشتغل مع المجاهدين ومكلف بجمع الأموال من أهل ناحيته"[55].

السجين المسن: "تم توقيفه قرب مزرعة بقرب الطريق الوطني لأنه لا يملك أية بطاقة هوية، قيل إنّه من منطقة الداموس، جاء يبحث عن العمل"[56]. وهذا الرجل المسن هو أحد السجينين اللذان قضى معهما الأب فترة الإقامة الجبرية في ثكنة ببلدية مارصو .

جلول: وهو المحسن الذي التقى به الأب في ذلك المستودع بثكنة في الأصنام، فيقول الأب عنه: "أمّا فيما يخصّ حِصّتي من الأكل، فكان جلول، ربي يكثر خيره، ويطيل عمره إن كان لا يزال على قيد الحياة، يتولى دائما إيصالها إليّ من المطعم الموجود في صالة أخرى قريبة"[57].

الدكتور البغدادي: هو الطبيب الذي يشارك الأب الغرفة ويسعف المرضى الذين تدهورت صحتهم، في ذلك المعسكر، كما أنه ساعد الأب في نزع الجبس من رجله وعلّمه كيفية المشي من جديد"[58].

---

[55]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 206.

[56]– ينظر المصدر نفسه، ص 206.

[57]– نفسه، ص 253.

[58]– نفسه، ص 256.

سي مقران: شخصية متعلمة، استفاد كثيرا السجناء من علمه الوافر، وقد تعلم منه الأب قراءة الصحف حيث يقول: "كان سي مقران بحر لا ينضب من المعرفة في السياسة والتاريخ والعلم، وفي تجارب الحياة أيضا"[59].

سي محمّد الفرطاس: وهو الآخر كان متعلما فقيها في الدين، درس في جامع الزيتونة كما أنّه كان إماما فـ "هو أيضا كان يحدثنا عن السياسة وعن زعماء العرب مثل جمال عبد الناصر والحبيب بورقيبة، إنه عالم حقيقي وفقيه في الدين، درس في جامع الزيتونة بتونس"[60].

سي عبد الوهاب: خياط ونسّاج من البليدة، علّم الأب الحرفة وأصبح يسترزق بها في السجن "كان يحبك الجوارب والأوشحة الرجالية بخيوط الصوف ويبيعها للمساجين، بأثمان ضئيلة وبالتقسيط، وأحيانا يقدّمها هدايا وإعانات لمن ليست لديهم إمكانيات دفع ثمنها"[61].

5. أفراد العائلة: (عائلة الطفل محمّد من قبل الأم والأب): تعرّف العائلة على أنّها أقدم النّظم والمؤسسات الاجتماعية، تعتبر كنموذج صغير للمجتمع وهي مجموعة من أفراد يحملون نفس اللّقب تربطهم صلة الدّم يسكنون في بيت واحد أو في عدّة بيوت مختلفة.

يعتبر أفراد العائلة من الشخصيات الثانوية المهمة في رواية نيران وادي عيزر، فهي مصدر مساعد للشخصية الرئيسية، لتكوين عمل سردي في المستوى، فعند سرد تفاصيل عن الشخصيات الرئيسية تأتي الشخصيات الثانوية لتساعد وتشارك في الحدث لتطوّره وتوسعه ليخرج بذلك نصا سرديا مميزا. وتكمن العلاقة بين هؤلاء الأفراد والمكان في علاقة الشخص بأرضه ومسقط رأسه، ومكان نشأته، وهي علاقة انتماء وتكامل لا تسعى للمادية، هي خالية من المصالح والمقاصد الشخصية.

---

[59]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص261.

[60]– المصدر نفسه، ص 263.

[61]– نفسه، ص265.

ومن بين أفراد العائلة، الكثر، نذكر أيضا:

- **أفراد عائلة الأب:**

الجد سي جلول: رجل كتوم، صموت [...] لا يفكّر إلا في مصالحه الشخصية[62]. إنّ علاقة الجدّ بالمكان علاقة صادقة نابعة من القلب، فهو المكان الذي احتواه وأعطى له مسكنا يقيه من البرد والحرّ، فهو بالنسبة له ذلك المسكن الذي أطعمه وسقاه وكبّر أولاده وأعان عائلته. وعلاقته بالمكان علاقة امتنان.

الخال عبد القادر: مالك الأراضي الزراعية حيث كان الأب يعمل. عبد القادر هو ابن سيدي الشيخ الذي تولى الحكم بعد وفاة والده. سار على نهج والده وعرف كيف يستثمر في الفلاحة والتجارة.[63].

ومن الأفراد الآخرين في عائلة الأب نجد أيضا العم أعمر وأخويه أحمد ومحمّد، الأم يامنة (الجدّة).

. **أفراد عائلة الأم:** من بين أفراد عائلة الأم المساهمين بشكل كبير في الرواية نذكر:

العمّة خديجة الكفيفة: هي فعلا كفيفة، ولكنها ترى وتسمع أحسن من جميع سكان الناحية، وهي تحسن اقتفاء آثار الأقدام بشكل مذهل[64]. علاقتها بالمكان علاقة انتماء فيه قضت كل حياتها.

العمة حورية: هي عمة الأم من أبيها، ووصفها السارد بأنها إنسانة طيبة وكريمة على الرغم من فقرها المدقع"[65].

---

[62]–محمد ساري، نيران وادي عيزر ، ص 22.

[63]– ينظر: المصدر نفسه ، ص 23

[64]– ينظر: نفسه، ص 59

[65]–ينظر: نفسه، ص64

تكمن علاقتها بالمكان في كونها علاقة مادية فهي لا تريد العيش فيها نظرا للفقر والمزيرية بل تريد العيش في رفاهية وغناً.

ومن الشخصيات الثانوية الأخرى نجد:

6. شخصية الشّيخ سي الملوذ: "حافظ القرآن ومرتّله، رجل تقي وصدوق في نظر جميع أهل عيزَر، الساكن بأعلى ربوة زيوا، المشرفة على الوادي في الناحية المسماة ببركة العروس، وبالقبائلية ((ثامدة انْتَسْليث))[66]. إن علاقة الشيخ سي الملوذ بالمكان علاقة متكاملة وعلاقة انتماء فهو مليء بالإيمان والخشوع.

7. الشخصية الشبح:

العجوز: قالت الأم عن هذه العجوز خلال مقطع سردي: "فإذا بامرأة عجوز لا أعرفها، وعلى رأسها محرمة حمراء تغطّي شعرها جزئيا، وهي تتوكّأ على العصا، تتقدّم نحوي"[67]. وفي قولها أيضا:" حطّتني المرأة الغريبة على الضفة الأخرى[...] فبدَت لي كشبح أرعد جسدي وانتابني خوف غامض"[68]. وهذه الشخصية، شخصية الشبح، من الشخصيات التي سيطرت على بعض الأحداث الروائية، وكانت علاقتها بالمكان علاقة تكفير عن الذنب.

8. شخصية البرّاح: هو ذلك القايد الذي يقوم بإلقاء خطابات وأحاديث ليعلم الناس وأهل الحي بالمستجدات التي يطلبها المستعمر. أخبرنا عنه السارد من خلال قوله:" في صباح يوم الغدّ، كلّف القايد برّاح الناحية، سي أحمد المشهور في الأعراس، ليطوف بكل الضواحي [...] ستُخفّف عقوبته"[69]. إن علاقته بهذا المكان علاقة مادية نظرا لرغبة جامحة فيه لسلب ما لأصحاب عيزر من ممتلكات فهم يعملون لدى المستعمر كحركى.

---

[66]– ينظر: محمد ساري، نيران وادي عيزر ، ص 52.

[67]– المصدر نفسه، ص 49

[68]– نفسه، ص 50.

[69]–نفسه، 112.

9.الشخصية الواشية:

تعتبر هذه الشخصية من الشخصيات التي أثرت سلبا على بعض شخصيات الرواية، لأنها وبطبعها شخصية تميل إلى المشاكل، نجد من هذه الشخصيات المرأة العجوز التي أخذها الطمع فقدت حياتها وحياة أبنائها الأربعة، ثمنا لطمعها، ولقد ذكر هذا في المقطع الموالي: "استقبلته العجوز بحفاوة واقترحَت عليه المبيت وهي تدرك أنه ليس إلا واحدا من السجناء الفارين. قبل منتصف الليل، بعثت أحد أحفادها إلى دار القايد الذي أخبر بدوره رجال الدرك.[...] قال شاهد عيان إن المسكين وصل جثّة مترهّلة، بلا حياة، مشوّها ملطّخا بالدماء ومعفرا بالتراب"[70]. وقيل أيضا: "لم تمر تلك الوشاية بلا انتقام"[71]. فالعلاقة التي ربطت هذه العجوز بالمكان علاقة مادية فقد خانت من وثق بها من أجل المال والقمح.

وذكرت أيضا هذه الشخصيات لكن نظرا لكثرتها ولضيق الوقت تطرقنا إليها بالاسم وبذكر البعض فقط: زوج العمة خديجة، الصديق الجديد أعمر، الخال علي وزوجته، العمة منون، عائشة، العمة حليمة مرزوق، الأخت يامنة.

ج – الشخصيات العابرة:

هي تلك الشخصيات التي لم تحظ باهتمام الروائي نظرا لعدم وروده وذكره في الرواية، من قِبل السارد بطريقة منجذبة فنجده لا يذكر أبعادها النّفسية أو حتى الجسمية، ففي بعض الأحيان يعيرها اسما أو صفة، أو يذكر ما هي مهنته، وأبرز مثال الرّجل العجوز (الراعي الشيخ)، أولاد المرأة العجوز، الزائرين، لاعبو الدومينو والكارطة، بائعو الشاي والقهوى.

---

[70]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 113–114.

[71]–المصدر نفسه، 114.

3- علاقة "وادي عيزر" بالأحداث:

يعتبر الحدث ركنا أساسيا في الرّواية وصلب المتن الرّوائي، إذ لا يمكن أن نتخيل رواية ما من دون حدث، لأن الرّوائي يعتمد عليه في تطوير أجزاء الرواية وتنميتها، فيعتمدها لوقوع الأحداث، فهي تلك المحطة والمكان الذي يلتزم به من أول الرواية لنهايتها.

من خلال تتبعنا لمضمون الرّواية لمسنا كمًا هائلا من الأحداث والتفاصيل التي حدثنا عنها الروائي لفتت انتباهنا وشدتنا إليها، بحيث خلصنا إلى أن أحداث هذه الرّواية ارتبطت ارتباطا وثيقا بمكان "وادي عيزر" الذي هو مسقط رأس الرّوائي وذلك من خلال ما سجلته ذاكراته من أحداث.

الذاكرة تسترجع الحدث وتستذكره مربوطا على الدوام بالمكّان نفسه مهما طال الزمن، فيجد المرء ذاكرته مليئة بالمواقف والأحداث، تأتي كلها في سياق يضع المكان إطارا يمسك ويتملك الذكريات وكأنه يحميها من الضياع.

والملاحظ أنّ المكان الأول الذي ولد فيه الروائي وترعرع في أرجائه يكون النموذج الذي تتشكل من خلاله بقية الفضاءات.

تبدأ أحداث رواية " نيران وادي عيزر"، باسترجاع الرّوائي لحدث عاشه في تلك المنطقة وهو حدث التهجير الجماعي، الذي عاشه هو وكل من كان في قريته، فيقول في مستهل الرواية: "إلى أبعد نقطة تلوذ إليها ذاكرتي، فهي حتما تصطدم بصور مضببة لتهجير جماعي نحو الشمال، يزاح الستار فتنكشف أمام أعيننا المذهولة قافلة من الرجال والنساء والأطفال والبهائم، تتدحرج بوتيرة سريعة تحت سماء ممطرة". وبهذه الوتيرة يبدأ السارد في استرجاع الأحداث الواحد تلو الآخر، ولعل أهمها:

_ التهجير نحو الشمال.

_ الاشتباك بين المجاهدين والمستعمر.

_ سرد ذكريات الطفولة.

_ ظهور حقائق عن أن وادي عيزر مسكون.

_ زواج الأم من عائلة أوصاري.

_ إقامة وعدة تيتاموسي.

هذه الرواية مليئة إذن بالأحداث والتفاصيل لذا اكتفينا فقط بالقليل من الأمثلة لنؤكد على وجودها وأهميتها.

نخلص للقول إلى أنّ علاقة الأحداث بالمكان هي علاقة كاملة متكاملة، فلولا المكان لما حدثت الأحداث ولولا الأحداث فلا وجود للمكان، فلكل منهما دوره وأهميته في تكميل الآخر وتجسيده في محيطه.

نستخلص مما سبق أن علاقة المكان بالتّشكلات السردية (الزمان، الشخصيات والحدث) تحقق عملا سردياً مميزا، نظرا للرابط الوثيق بينهم، فهُم جزء لا تتجزأ من أي عمل روائي سردي فالمكان مرتبط بكلّ واحد منهم فيعطيه دوره في فترات محددة بتدخّلٍ مع الشخصيات.

ثانيا: تمظهرات "وادي عيزر" ودلالاته:

يطرأ على المكان في الرواية العديد من التغيرات والتحولات، وذلك راجع لوقائع وأحداث ارتبطت به خلال فترة زمنية معينة، ففي "وادي عيزر "بالملخص المفيد يتأرجح بين ذلك المنظر الطبيعي الذي يلجأ إليه الإنسان للزرع والسقي والفلاحة، وبين ذلك المكان الذي شهد نشوب الحروب والمعارك.

يعتبر المكان نقطة انطلاق الكاتب، وهو المكوّن الأساسي لبنية النّص الأدبي، ويطرأ عليه العديد من التغيرات الحاملة لوقائع وأحداث خلال مدّة زمنية، أو فترة زمنية معينة، ويعدّ المكان في الرواية عنصرا أساسيا، له وظائف ودلالات تتجاوز الوظيفة التقليدية المعروفة، فمن خلال المكان نكتشف ونستوحي العديد من الصور التي ظهر عليها المكان، وما طرأ عليه من تغيرات، وأبرز مثال لهذا هو رواية "نيران وادي عيزر" التي تحوّل فيها مكان "وادي عيزر" خلال تلك الأحداث التي جرت فيه، فهو مكان طبيعي يلجأ إليه الإنسان للزرع والسقي والفلاحة، وهو مكان لهو ولعب للأطفال، وهو أيضا حلبة للاقتتال ونشوب المعارك قصد إخراج المستعمر ونيل الحرّية.

لقد ظهر هذا المكان كمحطّة أساسية مهمة، فهو قطب الرحى الذي تدور حوله وقائع الرواية وأحداثها، وتتأثر به الشخصيات، فبعدما طرأت عليه التحولات في الأزمنة المختلفة المتباعدة، ها هو يلبس لبوسا عديدة، ويوحي بدلالات يمكن أن تبلغ حد التعارض والتقابل.

لم يكتف هذا التغير بالتّأثير فقط على شخصيات الرّواية، بل أثّر أيضا على القارئ والمتلقي ليتشكّل لديه العديد من الصور المختلفة بخصوص "وادي عيزر"، فقد دخل في الأحداث وتفاصيلها، وعاش مع شخصيات الرواية وتصور أماكنها وجال فيها بمخيّلته وشاهد عبرها تفاصيل كثيرة وأحداث عديدة، بعضها تترك في النّفسية الشعور الجميل، والبعض الآخر تترك تلك الأحزان والآلام.

ولقد ظهر "وادي عيزر" في أشكال مختلفة وعديدة ولعل من أهمها ما يلي:

1. وادي عيزر المكان الطبيعي:

يتجلى حضور الطبيعة في الرّواية من خلال اعتبارها مسرحاً تدور فيه الأحداث الرّوائية جلها أو جزء منها، وكما يمكن أن تحضر باعتبارها شخصية رئيسية تؤثر في الشخصيات وفي مسار الرّواية.

يعدّ الوادي في رواية "نيران وادي عيزر" ذلك المكان الطبيعي الذي أثّرعلى الشخوص تأثيرا متباينا من شخصية إلى أخرى ومن فترة إلى أخرى، فقد حاول الروائي إنشاء علاقة بين شخصيات الرّواية والمكان الطبيعي، مع الأخذ بعين الاعتبار دور الزمان والإنسان والظروف التي مرّ بها وادي عيزر كمكان، ومن خلال هذا العنصر سنحاول الكشف عن جدلية هذه العلاقة، والتي قد تبدو أحيانا حانية تفيض بالعطف أحيانا، وقاسية ومعادية أحيانا أخرى.

وقد اختلفت نظرة الشخصيات إلى هذا المكان، فهناك من وصف لنا هذا المكان الطبيعي على أساس أنه المكان الهادئ والخلاب، وهناك من وصفه لنا بالمكان المعادي والقاسي، فمن خلال تباين هذه السمات التي يحملها الوادي نجده قد تحول إلى شخصية حية تحس وتتأثر بما حولها من ظروف.

وصف لنا "وادي عيزر" في هذه الرّواية من خلال الأب وهو يسرد تفاصيله لابنه قائلا: "على طرف البطحاء، من الجهة المشرفة على السهل الممتدّ بعيدا باتجاه الشمال، يتوسّطه الوادي المثَعبَن بطوله الخرافي، ترتفع شجرة بلّوط مئوية، عملاقة، تشكّل أغصانها المورقة الوارفة ركنا مضللا منعشا يعيد الروح للصاعد اللاهث الذي يتوقف عندها ليستردّ أنفاسه"[72].

تمظهر لنا "وادي عيزر" كمكان طبيعي حقيقي ومورد حيوي يستفيد منه البشر والحيوان والزرع، وتحيط به مزارع وحقول يخدمها الفلاحون ويزرعونها قمحا وشعيرا، والدليل على ذلك قول الأب:" يسقي الماء من العين الفوارة في عمق الوادي، يقلب الأرض بالفأس، يزرع كل أنواع الحبوب والخضر، ينزع الأعشاب الضارة، يحصد القمح والشعير"[73]. ويقول الطفل جازما بأن الوادي كان ذلك المصدر والمورد الطبيعي للشرب فيما يلي: "في الوادي،

[72]-محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 18.

[73]-المصدر نفسه، ص 22.

شربت حتى ارتويت من ماء العين الفوارة، العين نفسها التي كان أبي يسقي منها وهو صغير"[74].

ويأخذ وادي عيزر دلالة المكان الطبيعي الثائر والهائج الذي يثير في النّفس الخوف من خلال قول الأم: "نسينا، عمّي، خالي علّي وأنا، هيجان مياه مَجرى الوادي عند كثرة الأمطار والتي تتحوّل إلى غولة تلتهم كل من تصادفه في تدفقها الجنوني"[75]. وقالت أيضا في المقطع نفسه متذكرة عبورها للوادي حينما كانت صبية: "عندما أشرفت على مجرى الوادي، ذهلت لما رأيت [...] بحثت بعينيّ المرعوبتين عن المعبر الذي مررت فوقه قبل نصف ساعة فقط، فلم أعثر على أثر له[...] كيف أقطع الوادي؟"[76].

إنّ "وادي عيزر" إذن مكان طبيعي يتميز بكلّ الجماليات التي يكتسبها أي مكان في الطبيعة، فيتغير بتغير فصوله، فمثلا في الصيف يتميز بالهدوء والصفاء، وفي الشتاء يتميز بالهيجان، حتى أضحت دلالته لصيقة لدلالة الغولة نظرا للخوف الذي يتركه في نفوس عابريه.

2. "وادي عيزر" المكان المسكون:

سرد محمد ساري عدة حكايات شعبية وخرافية في رواية نيران وادي عيزر، حكايات ذات مضمون عميق، ويشف عن معاني ذات صلة بالكون وحياه الإنسان، ومن ضمن هذه الحكايات نجد بعض الأساطير عن أماكن مسكونة بالأرواح أو الجان، وتحدث فيها أحداث غريبة أو سماع أصوات بشرية مبهمة، وقد تكون هذه الأرواح تقيّة أو شريرة، بحيث تكثر الأقاويل فتتنوّع من شخص إلى آخر فيما يخصّ حقيقة هذه الأمور.

ونعثر من خلال عنوان من عناوين الرّواية على قصة "بركة العروس" وهي أسطورة متداولة في الجزائر، بالتحديد في بركة داخل وادي عيزر، وقد أشرنا فيما مضى إلى أنها

---

[74]- محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 18.

[75]- المصدر نفسه، ص 48.

[76]- نفسه، ص 48.

بركة عميقة تقع عند وادي عيزر، يقال أنّه ذات مرة توقّف موكب زفاف عند البركة ليروون عطشهم، لكن العروس رفضت النزول خوفا من أن يتسخ فستانها، فحرمت البهيمة من الشرب، عندئذٍ اندفعت الفرس بعنف نحو البركة بنية الشرب لكن الاندفاع رماها مباشرة وسط البركة فغرقت الفرس والعروس وابتلعتهما البركة، ومنذ ذلك الأزل أصبحت هذه البركة مكانا مسكونا بروح هذه العروس التي تحولت إلى جنية تطوف في ضواحي وادي عيزر، وتطلق أصواتا آدمية غريبة، وتظهر على هيئات مختلفة، تارة على هيئة بشر، وتارة على هيئة حيوان[1].

وتبيّن لنا أنّ "وادي عيزر" مكان مسكون، وذلك من خلال المقاطع السردية التي عرضها أمامنا الروائي على لسان عدد من الشخصيات أولها حكاية الأم مع الجنية التي رأتها على هيئة امرأة عجوز ساعدتها على عبور الوادي، فتقول الأم عن هذه المرأة العجوز: "أنا معتقدة أشد الاعتقاد بأن تلك المرأة التي ساعدتني على عبور النهر في ذلك الغروب الماطر هي روح تلك العروس، جاءت تكفّر عن ذنبَها[2].

ويروي أيضا أن الشيخ "سي المولود" الرجل التقي رأى هو الآخر مرارًا كائنات شبحية وسمع أصواتًا غريبة، لقد أخبر الأم عن حادثة عاشها ذات مرة هذا الشيخ فسردت لنا قائلة:" ذات مرّة رأى خروفا أبيض ناصعا عند أسفل جذع شجرة بلّوط وهو عائد من الوادي [...] ولكن الخروف اختفى قبل أنْ تمسّ يداه الصوفَ الأبيض الناعم[3]".

وتروي الأم أيضا ما حدث للأب خلال أداء مهمته فتقول: "أبوك أيضا روى لي حكاية مماثلة، وقعت له في نفس المكان، داخل غابة زيوا الكثيفة الأشجار، ذات ليلة وهو يحمل المال والمئونة (...) قال لي عند عودته إنّه أحسّ برعشة في بدنه كما لم يحسّ بها من

---

[1]– ينظر: محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 55، 56.

[2] -المصدر نفسه، ص 57.

[3]– نفسه، ص 53.

قبل"[1].وتقول أيضا: "ذات ليلة هو أيضًا سمع أصواتًا غريبة ولم يتأكد من هوية أصاحبها"[2].

نخلص إلى القول، من خلال المقاطع التي روتها الأم، بأن "وادي عيزر "حامل في بعض وجوهه لدلالة المكان المسكون بالجن، وذلك راجع للوقائع والأحداث التي حدثت في البركة ونجزم أنّها حدثت لأنّها لم تُروا على لسان شخص واحد بل سُردت من قبل العديد من الأشخاص.

3. "وادي عيزر" المأساة:

المأساة: تعتبر المأساة ذلك الشعور القاسي الذي يواجهُهُ الشخصيات، وهو شكل من أشكال الفن الروائي، يهدف لتصورات وأحاسيس عديدة، تحدثها الطبيعية أو الإنسان لإنسان آخر كالألم والمعاناة والحزن، فيتولد من خلال تلك العاطفة والمشاعر الجياشة كالرّئفة والرحمة والشفقة.

ويتولد الأثر السلبي في "وادي عيزر" لأنه يحمل العديد من المظاهر التي تجعلنا نراها في العديد من الصور كالمأساة، وهو رد فعلٍ لحدث جاد وحقيقي ينبعث من القلب، تحاكي فيه الشخصيات الأفعال لا الشخصيات، وتتعلق المأساة باستعراض أحداث من الحزن والتعاسة، فبعدما كانت الشخصيات في حالة جيدة تصبح حالتها مأساوية، وهذا من مثل ما حدث في روايتنا تماماً حيث كان الجزائريون يعيشون في ثبات ونبات، فانقلبت عليهم الأمور رأسا على عقب، فأصبحوا يعيشون في الخوف والرعب، وألحق الدمار بمنازلهم وهُجّروا عنوة عن أرضهم، يقول الطفل في هذا الصدد: "ويجرّ الرجال بعنف وغضب الحمير والبغال المعبأة بكميات المواد الغذائية والأواني التي جُمِعت في استعجال ورعب من قنابل النابالْم وهي تفجّر مساكنهم وتحرق أكواخهم وتقدُّم جحافل العساكر الفرنسيين عبر جميع الدروب لمحاصرة المنطقة وإرغام سكانها على مغادرة ديارهم[3]".

---

[1]– نفسه، ص53.

[2]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 54.

[3]- المصدر نفسه، ص 7.

ويقول أيضا في الصدد نفسه:" كان الكلّ يقصّ أحداث ذلك الترحيل الإجباري المشؤوم، تلك القطيعة الفاجعة مع أرض الأجداد، والدخول في تيه لم يتمكّن من محوها الاستقلال بما جلب من أمن وخير"[1].

يعبّر شعور المأساة في روايتنا على أحداث جادة واقعية، يمكن لأي إنسان طبيعي ملامستها بالتّفصيل، ويُنشأ شعور المأساة في النّفوس تأثيرا سِلبيًا على شخصيات الرّواية خاصة، والقارئ بشكل عام، ويترك الشعور بالمأساة تلك العقد النّاجمة عن الحدث، فنجده مثلاً في روايتنا عند عبور الأم للوادي وهذا حين قالت: "إنّه أرعَب عبورٍ لوادي عَيْزَر عشته في حياتي. أبدا، لم أحسّ بهلع يماثل هلع ذلك اليوم انتابني رُعب من أن تجرفني المياه الموحلة، ولكنّ رعبي انصبّ خاصة على مصير أخيك الصغير، رشيد، الذي كنت أحمله على ظهري أظنّ جازمة أنّه لفظ أنفاسه الأخيرة مع صقيع برد ذلك العبور"[2].

لقد وردتْ الأحداث المأساوية في الرواية في صور عديدة نذكر منها التهجير، الموت، الضرب، التفجير بالقنابل، الطرد وكل هذه الأحداث سببها الاستعمار بمساعدة الحركى.

إنّ الرّواية التي بين أيدينا مليئة بالمأساة لكن اكتفينا فقط بذكر ما سبق من مقاطع لنبيّن ما مرّ به وادي عيزر من التغيرات التي أثرت سلبًا على تفاصيله وشخصياته، فأحدث صورة مأساوية عاشوها هم كشخوص الرواية وأحسسنا بواقعها نحن كقرّاء.

4. "وادي عيزر" المكان الحنيني:

المكان الحنيني هو ذلك المكان الذي يذكرنا بالماضي أكثر مما يذكرنا بنفسه"[3]. وبات شعورنا بالحنين للأماكن لا يزول بالرّغم من مرور الزمن، فالحنين ليس حنينا للمكان فقط بل للأشخاص والظروف والأشياء المجتمعة في هذا الفضاء.

---

[1]- محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 15.

[2]- المصدر نفسه، ص 11.

[3]- تميمة كتانة، المكان في الرّواية إميل حبيبي، دار غيداء، ط1، 2017، ص،32.

الحنين عبارة عن الاشتياق، فيه تتجلى مشاعر الشوق والحزن، فالكثير يشعرون به ولا يظهرونه، يمكن للحنين أن يسيطر على الشّخص فيتمنى العود لما حدث من قبل، ويتعرف عليه من خلال رائحته أو منظره أو صوته باستدعاء الذكريات والمشاعر المرتبطة بالمكان.

تعتبر الذكرى الحنينية في "نيران وادي عيزر" تلك اللّحظات التي تركت آثارًا في نفوس الشخصيات بالرّجوع للماضي، ويذكر كلّ ما حدث بداية بذلك الطفل الصغير محمد وأمه وأبيه وغيرها من الشخصيات. يغمرهم الشوق والحنين فيتذكرون ذكرياتهم، فيحنون ويحزنون تارة، ويفرحون ويسعدون تارة أخرى، وذلك واردٌ في قول الطفل عن أبيه: "قادَني بخطوات وئيدة إلى غاية كومة من الأحجار المتربة، خطى بخفة ما بدا لي بقايا سور واطئ، ثمّ تجمّد، أطال النظر في تلك الأنقاض محركا رأسه، وقال بصوت منخفض وحنين جلي في عينيه: ((هنا جئتَ إلى الحياة ذات ليلة شتوية عاصفة)) أردت أن أسأله: ((أين؟ إني لا أرى شيئا)) "[1].

وفي مقطع آخر يظهر الأب حنينيه المتجسد في قوله: "حينما يحدث لي، من حين لآخر، أن أعود إلى عيزَر في زيارة لا تدوم في أغلبها أكثر من يوم، بمناسبة وفاة صديق طفولة أو رفيق سلاح، أخصّص دوما بضع لحظات من التأمل والعزلة لإلقاء نظرة حنين وتذكّر إلى مجرى الوادي المنساب وسط السهل المترامي الأبعاد، عبر منعرجات وسط التلال المشجرة، كي أجذب من عمق النسيان مشاهد تذكّرني بها تلك الأماكن الصغيرة: درب حميري يتَثعْبَن صعودا وهبوطا، عين فوارة على ضفة ساقية، شجرة من أشجار الزيتون والتين واللوز والصنوبر وأجمات الضّرْو التوت البري، بقايا كوخ من الأكواخ التي آوتنا في تلك السنوات الصعبة"[2].

وفي مقطع آخر يقول أيضا: " كم مرّة نسيْت نفسي وأنا أتأمل بنظرة حنين تلك الأماكن العزيزة إلى قلبي، لا كما تبدو اليوم أمام عينَيّ، مُقفرة، مُهملة، وإنّما كما احتفظتُ بها في ذاكرتي وهي زاخرة بالحياة وتعجّ بالديار المتناثرة، هنا وهناك، وبالناس، رجالا ونساء وأطفال،

[1]- محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص19.

[2]- المصدر نفسه، ص105.104.

وهم يروحون ويجيئون يركضون، يشتغلون، يتنادون، يتصايحون، يتشاجرون، يملؤون التلال و الوهاد والشعاب ضجيجا وحيوية"[1].

تتراوح ذكريات الرّواية الحنينية بين تلك المرغوب بالعودة إليها، والتعمق في تفاصيلها، وبين تلك التي تعود وتتبادر إلى الأذهان رغما عن إرادة الشخوص، ونجد أيضا تلك التي تسترجع فقط لسبب ما، ولعل أهمها حمد الله على نعمة الاستقلال، فغالبا ما يسترجع الإنسان ذكرياته ليظهر لشخص آخر الفروقات التي تتواجد في المكان أو المعيشة مثلا.

5. "وادي عيزر" الذكرى الجميلة والسيئة:

الذكريات هي تلك الخواطر التي تتبادر للأذهان، تأتي دون سابق إنذار تؤثر على نفسية وشخصية الإنسان وسلوكه في المستقبل، يمكن لهذه الذكريات أن تكون جميلة أو سيئة. يقول الأب في أحد المقاطع السردية: "مرّت سنوات طويلة، تغيّرت حياتنا كلية، وذبلَت ذاكرتنا ويكاد ينطفئ أجيجها، ولكن شحنة العاطفة بلحظاتها السعيدة وأوجاعها الشاقة، والذكريات السيّئة تطفو على السطح في أرذل العمر. ظننْت أن الشيخوخة تمحو ذكريات الشباب. ولكنّي تفاجأت لحدوث العكس تماما. تكفي إشارة ضئيلة إلى تلك الحقبة كي تصبح جميع الفضاءات تحت الأضواء الكاشفة، وتعود أيامنا تلك إلى الواجهة كما لو أنّها لم تغب أبدا[...] توقفنا يوما عن البحث عنه"[2].

لا شك أن كلام الأب يحيل في روايتنا على حقبة زمنية مليئة بالذّكريات الجميلة منها والسيئة، التي تطوف دوما وتتبادر إلى الأذهان فتجعلنا نسرح فيها بإعادة إحيائها.

وتعد الذكريات الجميلة في الرواية لحظة من اللحظات التي تترك في الشخصية انطباعا إيجابيا، وفي نفسية القارئ والمتلقي، بحيث نجده منسجما مع شخوص الرواية وواقعها، فيفرح لفرحها ويحزن لحزنها.

---

[1]- محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 105.

[2]- المصدر نفسه، ص 105.

ولقد أورد السارد في رواية "نيران وادي عيزر" العديد من هذه الذكريات الجميلة، والتي نذكر منها تلك التي قيلت على لسان الأب: "في ذلك الزمن، كان الناس فقراء ولكنهم أسخياء، ويقتَسمون مع غيرهم الشيء القليل الذي يملكونه"[1]. يخبرنا الأب هنا عن الكرم الذي يتصف به سكان وادي عيزر، فبالرّغم من قلة المحصول والأكل، إلاّ أنّهم يتعاونون فيما بينهم ويتساندون.

وجاء في قول الطفل أيضا: "حكايات يتسلّى بها الكبار قبل الصغار، تساعدهم على تمضية سهراتهم في جوّ حميمي يُنسيهم شقاءَ يومهم"[2]. فسرد القصص من الأشياء الجميلة التي تنسيهم بعض التعب وبطش الاستعمار الذي أثّر على حياتهم بشكل كامل.

والأم بدورها تربط دلالة "وادي عيزر" بتلك الذكرى الجميلة التي تستعيد من خلالها صورة ابنها حين كان صبيا حيث تقول: "كنتَ نائما أو واهنا مخدّرا بسبب الحرارة، فأيقظتك المياه المنعشة وبدأت تتحرّك وأنت داخل حوض الماء، تُحرّك ساقيك وذراعَيك. امتلأ صدري ابتهاجا"[3]. لقد أخبرتنا الأم في هذه الحادثة عن مدى فرحتها لامتثال اِبنها للشفاء فابتهجت، فبعدما كان طفلها شبه ميت عاد أخيرا إلى الحياة ما جعل السعادة تغمرها.

ومن الذكريات السعيدة أيضا نجد ذكريات ابن خال الأب عبد القادر حين قال السارد: "وكنت أقضي العطل في بيتنا في عيزَر، برفقة أخي محمّد وأبيك، وهما أكبر منّي سنًّا، أرعَى معَهم الغنم وأركض في الحقول وأصيد السمك في برك وادي عيزَر"[4]. لقد أخبرنا السارد في هذا المقطع عن تلك الحياة العفوية الهادئة الخالية من المشاكل التي تعاش في الرّيف وعن نمط العيش فيها ومدى سعادة الأفراد والتجانس بينهم.

وأما ما تعلّق بالذكرى السيئة، فتتمثل في تلك الأحداث التي تسبب الألم والحزن والتعاسة للشخصيات، فتؤثّر على النّفسية مما يسبب عاطفةً سلبية، قد يكون هذا الحدث

---

[1]- محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 22.

[2]- المصدر نفسه، ص 31.

[3]- نفسه، ص 73.

[4]- نفسه، 119.

مرتبطا بالعنف كما في رواية "نيران وادي عيزر" التي تتحدث عن بطش الاستعمار والآثار المدمرة التي تركها في كل شخصية من شخصياتها، فالذكريات الخاصة بفترة الاستعمار كانت أغلبها ذكريات سيئة، يتذكر السارد حين كان طفلا قائلا:" أثناء الترحال القَسرّي، تفاجأ المُهَجَّرون بسقوط أمطار غزيرة ممّا ضخَّم منسوب مياه الوادي وصعّب عبوره للالتحاق بالضفة الأخرى حيث الطريق الصالح للسيارات والمؤدّي إلى السهل والتجمعات السكنية الكبرى"[1].

لقد جاء في قول الطفل كلّ ما حدث في ذلك اليوم المشؤوم، فبالرّغم من صغر سنّه إلاّ أنّ الآلام التي مرّ بها جعلته لا ينسى تلك الحادثة، أي حادثة التهجير، مستدلا في ذلك بقوله: "بقيَت صُور ذلك العبور لوادي عَيْزَر، ونحن نُطرَد من أراضينا بعد حرق العساكر الفرنسيين لمنازلنا عن طريق القنابل والتفجيرات، راسمَة في ذاكرتي كمنحوتات جدران مغارات ما قبل التاريخ، وتطفو إلى السطح كلّما حضَر ذكر طفولتي الأولى أيام حرب التحرير"[2].

ولعل من الأدلة القوية على ذلك الأثر السيئ الذي تركته تلك الذكرى في نفسية الطفل، هو تشبيهِه ليوم التهجير بمنحوتات جدران المغارات الراسخة والمنحوتة في عقله وكيانه.

وروت الأم أيضا بعضا من ذكرياتها السيئة من مثل قولها: "كنا نعيش حياة فقر لا أراك الله ولا أراها لأحد لأنها لا تليق ببَني البشر كنّا والبهائم على حدّ سواء، نتقاسم وإياها الجوع والعطش. بل أكاد أجزم أنّ حياة بهائمنا أفضل بكثير من حياتنا"[3]. وقالت: "أمّا حياتنا نَحن، فلا أراك الله! العراء والجوع والميزيرية الكحلة! فلا يمكن لجيل الاستقلال أنْ يتصوَّرها أبدًا"[4].

إنّ ما روته لنا الأم عبارة عما عاشته في تلك الفترة، فترة الاستعمار التي بدورها أذاقتهم المرّ، وعاملتهم بمثل ما تعامل به الحيوانات، ومن الأكيد أنّ ما خلّفته هذه الفترة في

---

[1]- محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 7.8.

[2]-المصدر نفسه ، ص 9.

[3]- نفسه، ص 13.

[4]-نفسه، 13.

نفسية الأم جعلتها لا تنسى تلك الحادثة، فتتذكره من حين لحين ككابوس لم يعد يعكّر صفوة حياتها.

6. "وادي عيزر" الطلل:

الطلل هي بقايا التراث البشري من أوتاد وديار مهدمة، وهي ما برز على سطح الأرض من آثار المنازل والديار مرّ عليها فترات من الزمن، تركتْ بعلة الهَجْر أو بسبب تأثيرات طبيعية أو مخلفات الحروب. لقد برز الطلل في الشعر كنوع مهم وعنصر افتتاحي في بناأه القديم وذلك بكتابته للاستذكار بما فات والبكاء على البقايا تركها وابقاها الزمن.

عند التلميح لهذا النّوع من الأحاسيس المجسّدة في هيئة الطّلل يؤول الإنسان للإحساس بالبكاء والحزن، فيبعث في النفسية تلك الرّعشة الظاهرة فيسعد بالعودة إليها أو يتألم ويتحسّر على ما مضى، لقد ارتئينها في العديد من المقاطع الروائية، ففي رواية "نيران وادي عيزر" كان الأب كثيرا ما يذهب بمخيلته إلى أبعد ما تلوذ إليه ذاكرته تارة كطفل، تارة كشاب، تارة أخرى كابِن وأخ وأحيانا كزوج وكأب. هيكل الأب في أحد الأقسام مطلا عبر ذاكرته للمكان ساردا لابنه محمد بعض التفاصيل والوقائع التي رويت لنا من قبل الطفل قائلا:" لقد حدّثني والدي أثناء الطريق عن بعض ذكرياته في ديار صباه، بصوت متهدّج يفضح انفعاله وتأثره هو أيضا وغبطته بالعودة إلى حيث تشكّلت ذاكرته الأولى. سحرتني كلماته التي وصَف بها مسقط رأسه ومرتع طفولته و فتوّته"[1]. كلّ هذا الحديث المشوق جعل الابن يدخل في خيال وأحلام يقظة مبعدا تلك الصورة التي وجد عليها المكان قائلا: "فتخيّلت مزرعة سعادة حقيقية، مستقاة من مخيّلة أخرى غذّتها الكتب المدرسية [...] بقيت تائها في الحدّ الفاصل بين أحلامي وبين ما يعرضه الواقع من حقائق لا تُسِرّ القلب ولا تريح العين"[2].

---

[1]– محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 19.

[2]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لم يكمل الطفل حديثه على الأطلال فَراحَ يقول أيضا: "قادني بخطوات وئيدة إلى غاية كومة من الأحجار المتربة، خطى بخفة ما بدا لي بقايا صور واطئ، ثم تجمّد، أطال النظر في تلك الأنقاض محركا رأسه، وقال بصوت منخفض وحنين جلي في عينيه: ((هنا جئتَ إلى الحياة ذات ليلة شتوية عاصفة))[1].

يقول الطفل أنه لم يلتقي أي شيء من خياله مع ما يراه فينطق: "وهي بالضرورة لا تتوافق مع الواقع الذي يعرض نفسه أمامي، ولا عما راح أبي يحكيه لي بحماس فياض، يشكّل صورة من تلك الأنقاض التي تحوّلت إلى أطلال قد تسعفه على إنعاش ذاكرته[2]. كما قال أيضا: "بعد صمت أقرب إلى الخشوع، [...] لا جدران ارتسمت ولا سقوف حمتها من المطر ولا من حرارة الشمس[3].

لقد أنهى الحديث عن الطلل بالقول: "جلس أبي على كومة من الأحجار والتراب وساح بصرُه يتأمل الروابي المقابلة في الجهة الأخرى من الوادي. بقي ساكتا لدقائق مديدة، غارقا في استحضار ذكرياته، قبل أن يلتفت إليّ ويروي لي حكاية عائلتنا"[4].

من خلال ما سُرد لنا، ظهر لنا الطلل خلال رحلة الأب مع ابنه لمسقط الرأس، فهنالك وجد الطفل كل مخلفات الزمان، بسبب ما تركه الاستعمار من دمار فلا جُدران بقيت ولا الدّيار ولا النّاس ظلّت، وكلّ ما بقي هي تلك الذكريات التي تذهب وتعود في وقت ومكان معينين.

نستنتج مما سبق عرضه أنّ "وادي عيزر" عاش العديد من التحولات، التي استنزفت كل طاقته كمكان طبيعي وكمكان يعج بالسكان، لقد غيّرته الأحداث وأثرت عليه الشخصيات

---

[1]- محمد ساري، نيران وادي عيزر، ص 19.

[2]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]–نفسه، ص 20.

[4]– نفسه، 20.

وعلى رأسها المستعمر الذي قام بتدمير كل ما هو صالح للحياة، فأصبحت الحياة فيه شبه منعدمة ولم يبق لسكانّها إلاّ تلك الذكريات سيّئها وجميلها ليحنوا عليها ويبكوا على أطلالها.

خاتمـــــــة

تفتح رواية "نيران واد عيزر" مصراعيها على متناقضات من مثل: الحياة/ الموت، الأمل/الخيبة، الحرية /الاستعمار، المأساة/ المسرات، فهي بذلك تحمل أشكال العنف وبطش الاستعمار واستبداده، وتحمل كذلك المعاني الموحية لقيمة الحرية لدى الإنسان.

وبعد رحلة البحث التي حاولنا فيها دراسة بنية المكان في الرواية وصلنا إلى النتائج الآتية:

- ✓ أنه ثمة علاقة تربط بين مفاهيم المكان اللغوية والاصطلاحية.
- ✓ وجود رابط سردي أصيل بين المكان والعناصر السردية الأخرى التي هي الزمان والشخصيات والأحداث.
- ✓ إن للمكان أهمية كبيره في بناء الرواية عامة، وفي رواية "نيران وادي عيزر" بشكل خاص، وهو الركيزة الأساسية في العمل الإبداعي.
- ✓ أن المكان عنصر مهم وحيوي، وهو العنصر المحقق للتلاحم والتوافق في العمل الروائي بعناصرها السردية المختلفة .
- ✓ تعددت أنواع المكان في الرواية، حيث توزعت على ثلاث ثنائيات ضديه كبرى، بمعنى أن الرواية جاءت متنوعة الأماكن والدلالات، فتظهر مرة مفتوحة أو مغلقة، وتظهر أحيانا على أنها انتقالية، وأحيانا أخرى على أنها ذات إقامة إجبارية، وإقامة اختيارية، كما تظهر في صورة مدنية تارة، وريفية تارة أخرى. ولقد كان لهذه الأمكنة الأثر الكبير على نفسيات شخصيات الرواية، وقد تراوحت هذه الأثار بين الخوف والحزن والتوتر والعنف والهجرة من جهة، وبين الراحة والأنس والحَنين تارة أخرى.
- ✓ إن علاقة المكان بالعناصر السردية الأخرى هي علاقة تكامُلية؛ أي أن كل عنصر من العملية السردية يُكمل العنصر الآخر .

- ✓ تغير "وادي عيزر" وتحوله بتأثير عامل الزمن الذي قسم في الرواية إلى ثلاث فترات زمنية هي: فترة ما قبل الثورة، فترة الثورة، وفترة الاستقلال.
- ✓ ظهر "وادي عيزر" في الرواية على هيئات مختلفة ودلالات متنوعة، فهو المكان الطبيعي الخلاب، وهو المكان الطلل، وهو المكان المسكون، وهو المكان المأساة، وهو المكان الحنيني، وهو أخيرا مكان الذكرى الجميلة والسيئة.

وفي نهاية المطاف نشكر الله عزّ وجّل الذي منحنا القوة والصبر والإرادة على إنجاز هذا البحث وإنهائه في آجاله المحددة، ونسأل الله التوفيق والعفو والمغفرة وصلى الله على نَبينا محمّد صلى الله عليه وسَلم وصحْبه أجمعين.

ملحـــــــق

نبذة عن حياة "محمد ساري":

محمد ساري، روائي وناقد ومترجم أدبي جزائري، من مواليد 1958، تخرج في جامعتي الجزائر والسوربون في باريس هو أستاذ في النقد الحديث، ونظرية الأدب والسيميولوجيا في جامعة "الجزائر 2" يكتب "محمد ساري" باللّغتين العربية والفرنسية، له مجموعة من الإصدارات في الرّواية والنّقد، ترجم العديد من الرّوايات ونشرها زهاء (ما يقارب) عشرين رواية من الفرنسية إلى العربية، إلى جانب ترجمات أخرى في مجالات النّقد و الفكر والفن و التاريخ والسياسة، ترجم العديد من الروايات إلى العربية لكتّاب جزائريين مثل " ملك حداد "، "ورشيد بوجدرة"،" مليكة مقدم"، "وياسمينة خضرا"، وظّف " محمد ساري "سيرته في التأريخ لاستقلال الجزائر، وصف فيها بؤس الجزائريين مستعيناً بذاكرته وذاكرة أبويه، بالتزامن مع الذكرى الستين (60) للاستقلال، أصدر" محمد ساري" روايته " نيران وادي عيزر" التي تناولت السنوات الأخيرة لثورة التحرير الاستعمار الفرنسي والأيام الأولى للاستقلال، خلال استضافته في حصة (نيل الثقافة) حيث أخبرهم أنه كتب بعض رواياته بتأثير غارسيا ماركيز وفارغاس يوسا.

2- مؤلفات "محمد ساري" :

2-1-بالعربية:

1-السّعير: عن دار " لا فوميك" الجزائرية، سنة 1986 م أثارت ضجة كبيرة في الساحة الأدبية الجزائرية.

2-على جبال الظهرة: عن المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1988م لقد نالت هذه الرواية الجائزة الثانية في المسابقة الأدبية للرواية التي نظمتها وزارة الثقافة بمناسبة الذكرى العشرين

للاستقلال سنة 1982م، ونشرت ضمن نصوص المسابقة في عدد خاص بمجلة امال سنة 1982م.

3-البطاقة السحرية: من منشورات الاتحاد، الكاتب العرب السورية، سنة 1997، وهي رواية كتبت على طريقة الكاتب الكولومبي (غابريال غارثيا ماركيث).

4-الورم: عن منشورات " الاختلاف "الجزائرية سنة 2000.

5-الغيث: عن منشورات "البرزخ" للجزائر سنة 2007 م، واعيد نشرها في طبعة مزيدة ومنقحة سنة 2019 م بدار الشهاب الجزائرية.

6-**القلاع المتآكلة:** من منشورات "البرزخ" الجزائرية سنة 2013 م.

7-حكاية أسفار: عن "دار أناب(ANEP) "الجزائرية سنة 2016.

8-حرب القبور: عن منشورات "الجزائر تقرأ" الجزائرية سنة 2018.

9-نيران وادي عيزر: عن دار العين المصرية سنة 2022.

10-جسدي المستباح: هي رواية تحت الطبع، صدرت خلال خريف 2022 م.

11-حصاد الرمال: الصادرة عن دار "الجبر " أحدث رواية له هي جسدي المستباح حب في عصف الرّعب لسنة 2023.

12-**جسدي المستباح:** حب في عصف الرّعب.

2-2 – الفرنسية:

-1-**Le labyrinthe المتاهة:** عن دار" ماريا "الفرنسية "Éditions Mardi "سنة 2000 م.

2- **Méprise Fatal احتقار مهلك:** عن منشورات مستقبلية "Édition Métairie" سنة 2005م.

3- **Pluies d'or أمطار من ذهب:** عن دار مثهاب الجزائرية سنة2015 م حصدت هذه الرواية جائزة ايسكال الأدبية بالجزائر سنة 2016 م.

4- Aizer un enfant dans la guerre عيزر طفل في الحرب :عن منشورات البرزخ الجزائرية سنة 2018م.

3(ما ترجمه " محمد ساري" إلى اللغة العربية:

ترجم" لمحمد ديب"،" أنور بن مالك، "مليكة مقدم" و "عيسى خلادي"، " سليم باشي" و"حميد سكيف"، "جمال سويدي" "رشيد بوجدرة "ومذكرات المجاهد " زهرة ظريف "والمجاهد عمار قدفي وغيرهم.

_سطوح أو رسول وغفوة حواء : لمحمد ديب.

_سنونوات كابول: ياسمينة خضرا.

_الممنوعة: مليكة مقدم.

4 - معلومات عن رواية "نيران وادي عيزر":

صدرت حديثا عن دار العين في القاهرة، قدّم فيها نظرة تاريخية عن مدينة شرشال خلال السنوات الأخيرة لثورة التحرير ضد الاستعمار الفرنسي، والأيام الأولى للاستقلال، وذلك من خلال الرجوع إلى سيرته الذاتية في المدينة الساحلية، الواقعة غربي العاصمة الجزائرية مسلطا الضوء على تلك المرحلة الانتقالية، التي تعتبر الأكثر أهمية في تاريخ الجزائر المعاصر.

يعود " محمد ساري" في بداية روايته إلى طفولته في قريته الريفية إبان الثورة، وتهجره عائلته منها من طرف المستعمر الفرنسي الذي قصف القرية بقناديل النبالم وأجبر سكانها على الهروب، قاطعين وادي عيزر في عز جريان الماء العنيف فيه.

وصف الكاتب في روايته هذه بؤس الجزائريين مستعيناً بذاكرته وذاكرة أبويه، كما يمر على الأيام الأخيرة للمستعمر الفرنسي والانتصارات التي حققتها المقاومة الجزائرية في شرشال، وفي غيرها من المناطق خصوصا في الأرياف، ويختم الكاتب عمله بوصف الفرحة العارمة بالاستقلال الذي نالته الجزائر وفي المقابل قدم "محمد ساري" نظرة نقدية لأكثر من الأفكار والسلوكيات السلبية، التي بدأت تتفشى في الأشهر الأولى للاستقلال منتصرا في نفس الوقت لمختلف القيم الإنسانية التي يجب أن تسود.

لقد سجل "ساري" تاريخا دقيقا للريف الجزائرية، ساردا كفاح تلك الأم والزوجة، وعناء ذلك القروي الطفل والعجوز، ومعاناة الشعب كما يسرد شجاعة الرجال والأساطير التي يرويها الكبار محملة بذكرياته وذكرياتهم واصفين القمع العنيد للجيش الفرنسي وتعذيبهم، هذه السيرة الذاتية مؤثرة بصدق فهي وثيقة وشهادة ثبتية تعرّفنا بواقع حقائق عاشها المجتمع الجزائري بسبب المستعمر مكافحا ومناضلا ضد المستعمر.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر:

1. ساري محمد، **نيران وادي عيزر**، دار العين للنشر، القاهرة، ط 1، 2022.

ثانيا: المراجع:

-المراجع باللغة العربية:

- أبو شريفة عبد القادر، حسين لافي قزف، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط4، 2008.
- باديس فوغالي، الزمان والمكان، في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، ط1، 2007.
- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار القلم، لبنان، بيروت.
- رزاق إبراهيم حسين، المدينة في القصة العربية القصيرة، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، 1984.
- سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النّقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2001.
- سياج عبير مروان خليل، صورة البيت في الرواية النسوية الفلسطينية، دار الخليج، ط1، 2022.
- شعبان عبد الحكيم محمد، في الرّواية العربية الجديدة، دار العلم والإيمان، ط1، 2014.

– شلتوت أحمد رجب، ربيع بنفسج، قراءة في الرّواية العربية، وكالة الصحافة العربية، ط1، 2020.

– صدوق نور الدين، البداية في النص الروائي، دار الحوار للنشر، سوريا، ط1، 1994.

– عبد الحسين الداخلي حسن علي، دار الحامد، الأردن، ط 1، 2011.

– عبد الله إياد جوهر، البناء الفني في قصص كاظم الأحمدي، دار المعتز، 2017.

– عبد الله خضر حمد، روائع قرآنية، دراسة في جماليات المكان السردي، دار القلم، 2007.

– العثمين محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثمين، دار بن الحوزي، الجدّة، الرّياض، 1990.

– فضل صلاح، النّظرية البنائية في النّقد الأدبي، دار الشّروق، القاهرة، 1998.

– لحميداني حميد، بنية النص السردي، من منظور النّقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الحمراء، بيروت، ط1، 1991.

– محمدي محمد عبادي محبوبة، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.

– مرتاض عبد الملك، في نظرية الرّواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

– مطر محمد السيد، أسلوبيات علم الأسلوب.. مفاهيم وتطبيقات، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2016.

– النابلسي شاكر، جماليات المكان في الرّواية العربية، دار فارس، ط 01، 1994.

-المراجع المترجمة:

دفيد لودج، الفن الروائي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002.

ثالثا: المعاجم والقواميس:

1-الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

2-أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللّغة، ج1، دار الفكر، 1979.

3-أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللّغة، دار الفكر، ج5، 2007.

4-جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت، القاهرة، ط1، 2003.

5-الحفني عبد المنعم، المعجم الشّامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط1، 2017.

6-مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدّولية، القاهرة، ط4، ج1، 2003.

7-مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، 2005.

رابعا: الرسائل والمذكرات:

- **أطروحة دكتوراه:**
- جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج،أطروحة دكتورة، إشراف: صالح مفقودة، قسم الأدب واللغة العربية، جامعة بسكرة، 2012-2013.
- **مذكرات الماستر:**
- صبرين حريز عبد القادر، وفاء ناصري، دلالة المكان والزمان في رواية "باب البيت" لعبد القادر مهداوي، مذكرة ماستر، إشراف العلمي مسعودي، قسم اللغة والأدب العربي حمة لخضر، الوادي، 2018، 20119.

خامسا: المجلات:

- حمودي كمال، محمودي شهرزاد، الأماكن المفتوحة في رواية "حائط المبكى" لعز الدين جلاوجي، مجلة أمارات اللّغة والأدب والنقد، العدد 2، جامعة الجزائر 2، جامعة تيزي وزو، 2021/09/30.

- عثمان خضر مايسة، "أهمية الفناء الداخلي في تكوين البناء السكني في منطقة شمال السودان،" المجلة العربية للنشر العلمي، ع 11، 2020.
- مزين محمد عبد الله، تحريشي محمد، حداثة مفهوم المكان في الرّواية العربية، جامعة طاهري محمد، بشار، مجلّة دراسات.
- مزين محمد عبد الله، تحريشي محمد، حداثة مفهوم المكان في الرواية، رواية وراء السراب قليلا لإبراهيم درغوثي أنموذجا، جوان 2015.
- مقدر نور الدين، "المحتشدات الفرنسية خلال الثورة التحريرية (1962-1955)، مجلة دراسات، مج07، ع1، ميلة، 2020.

فهرس المحتـــــــويات

مقدمة 6

مدخل مفاهيمي

1- مفهوم البنية..... 12
أ. البنية لغة..... 12
ب. البنية اصطلاحا..... 13
2- مفهوم المكان..... 15
أ. المكان لغة..... 16
ب. المكان اصطلاحا..... 17
ج. المفهوم الفلسفي للمكان..... 19
3- أهمية المكان 21
4- أنواع المكان..... 23
أ. الأمكنة المفتوحة..... 23
ب. الأمكنة المغلقة..... 24

الفصل الأول:

أنواع المكان ودلالاته في رواية "نيران وادي عيزر"

I- الأماكن المغلقة والمفتوحة..... 28
أولا: الأماكن المغلقة..... 28
1. البيت..... 28
2. الكوخ..... 30
3. السجن..... 30
4. المحتشد..... 35

5. الثكنة..... 37
6. المستشفى..... 38
7. المقهى..... 39
8. المدرسة 41
9. المطعم..... 42
10. الضريح..... 43
11. الحانوت..... 44
ثانيا: الأماكن المفتوحة:..... 45
1. الوادي..... 45
2. الساقية، العين والبركة..... 46
3. الساحة والبطحاء..... 50
4. الفناء والحوش..... 51
5. السوق..... 51
6. المقبرة..... 52
7. الغابة..... 53
8. الجبال..... 54
9. الأحراش 55
10. الأشجار 55
11. الحقول، البساتين والمزارع 56
12. الطرق، الدروب والشوارع 57
13. السهول والهضاب والتلال..... 58
13. البحر..... 59
II- أماكن الانتقال والإقامة..... 60
أولا: أماكن الانتقال..... 60
1. المستشفى..... 60
2. المقهى 60

3. البحر..... 61
4. الطرق والدروب 61
ثانيا: أماكن الإقامة 63
1. الإجبارية 63
2. الاختيارية..... 64
III- المكان المدني والريفي 65
1. المدينة 65
2. الريف..... 67

الفصل الثاني:

"وادي عيزر" وعلاقته بالمضمون الروائي

I- علاقة المكان بالتشكلات السردية 72
1. علاقة المكان بالزمان..... 73
أ- "وادي عيزر" قبل الاستعمار..... 74
ب- "وادي عيزر" في فترة الحرب والاستعمار..... 75
ج- "وادي عيزر" بعد الاستقلال 76
2. علاقة المكان بالشخصيات 77
أ- الشخصيات الرئيسية..... 78
1. شخصية الطفل..... 78
2. شخصية الأم..... 79
3. شخصية الأب..... 80
4. شخصية ابن خال الأب 81
5. شخصية ابن العم دادر..... 82
ب- الشخصيات الثانوية..... 83

1. شخصية المستعمر..... 83
2. شخصية المجاهد..... 84
3. شخصية الضحية..... 86
4. شخصية الزملاء الأسرى..... 90
5. شخصية أفراد العائلة..... 91
6. الشيخ سي الملوذ..... 93
7. شخصية الشبح..... 93
8. شخصية القائد البراح..... 93
9. الشخصية الواشية 94
ج –الشخصيات العابرة 94
3– علاقة المكان بالأحداث..... 95
II– تمظهرات "وادي عيزر" ودلالاته 96
1. وادي عيزر المكان الطبيعي..... 97
2. وادي عيزر المكان المسكون..... 99
3. وادي عيزر المأساة..... 101
4. وادي عيزر المكان الحنيني..... 102
5. وادي عيزر الذكرى الجميلة والسيئة..... 104
6. وادي عيزر الطلل..... 107
خاتمة 110
ملحق 113
قائمة المصادر والمراجع 118
فهرس المحتويات..... 123

الملخص بالعربية

بنية المكان في رواية "نيران وادي عيزر" للكاتب محمد ساري، مركزة على ثلاثة محاور أساسية تمثلت في مفاهيم نظرية عن المكان والبنية، وتشكيلات مكانية توزعت على ثلاثة ثنائيات ضدية كبرى (المغلق / المفتوح)، (الإقامة / الانتقال)، (المدني/ الرّيفي) مع ذكر دلالاتها وعلاقة وادي عيزر بالمكونات السردية الشخصيات، الزمان، والأحداث. وبعدها أظهرنا تلك التحولات التي آل إليها وادي عيزر وبيننا التفاصيل والآثار الناجمة بفعل الأحداث خلال فترات زمانية مختلفة، وبينت الدراسة أنّ المكان يشكّل عنصر أساسي في بناء هذه الرّواية، فقد وظفه الكاتب توظيفا خاصا عكس من خلاله الوضع الاجتماعي الذي عاشه هو بنفسه وأفراد عائلته وأهل منطقته عموما، ورصدنا ذلك الحدث الأساسي ألاَ وهو التّهجير الذي ترك في نفوسهم تلك الصدمة.

الكلمات المفتاحية: بنية المكان، دلالة المكان، رواية نيران ودي عيزر، محمد ساري

الملخص بالفرنسية

L'étude a porté sur la structure du lieu dans le roman "les feux de Wadi Ezer" de l'écrivain Muhammad Sari s'appuyant sur trois axes principaux représentés au départ dans les concepts théoriques de lieu et de structure, et se répartissant en trois dichotomies opposées : le fermé, l'ouvert, la résidence, la transition, le civil / rural, Avec la mention de ses indications, puis nous avons montré ces transformations que Wadi Ezer s'est transformées, et nous avons expliqué les détails qui ont changé et les effets résultant des événements pendant différentes périodes de temps, et la relation de Wadi Ezer aux composants narratifs, aux personnalités, au temps et aux événements. L'étude a montré que le lieu est un élément essentiel dans la construction de ce roman a été utilisé par l'écrivain d'une manière particulière, reflétant à travers lui la situation sociale que lui-même, les membres de sa famille et les gens de sa région ont vécue en général, et il a suivi pour nous l'événement principal, qui est le déplacement qui a laissé dans leurs âmes ce traumatisme.

الملخص بالإنجليزي

The study focused on the structure of place in the novel "the fires of Wadi Ezer" by the writer Muhammad Sari based on three main axes represented initially in the theoretical concepts of place and structure, and divided into three opposing dichotomies: the closed, the open, the residential, the transitional, the civil/rural, With mention of his indications, we then showed these transformations that Wadi Ezer has undergone, and explained the details that have changed and the effects resulting from events over different periods of time, and Wadi Ezer's relationship to narrative components, personalities, time and events. The study showed that the place is an essential element in the construction of this novel was used by the writer in a particular way, reflecting through it the social situation that he himself, the members of his family and the people of his region experienced in general, and it followed for us the main event, which is the displacement that left in their souls this trauma.